شرح وتحقيق

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان

أركانه - دلائله - ثمراته

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩١م

توزيع
مكتبة الانوار
دمشق - ص.ب ٢٣٢ - هـ ٢٢٩٤٢٥

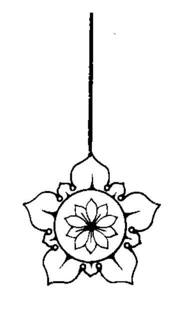

مُقَـدِّمَة

الحمد لله العزيز العليم، الرحمن الرحيم، العفو الكـريم، القائـل: ﴿يا أيُّها ٱلَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَٱلكِتـاب ٱلَّذي نُـزِّل عَلَىٰ رَسُولِـهِ وَٱلْكِتابِ ٱلَّذي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَـلَّ ضَلالاً بَعيـداً﴾ وَالصَّلاةُ وَالسَّـلامُ علىٰ رَسُولِ اللَّهِ الَّـذي أَجابَ جِبْريـل عَلَيْه السَّـلام وهو يسـأله عن الإيمـان بقولـه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وملائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِٱلْقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه» فأجـابه أمين السماء: صَدَقْتَ.

أما بعد

فإن أصدق الحـديث كتاب الله، وأحسن الهـدي هدي محمـد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعـة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا الكتاب الصغير بحجمه نسبيـاً، عظيم الفـائدة، بـالغ الأهميـة، ضروري لكل مسلم ومسلمة، لأنه يبين أسـاس الشريعـة الإسلاميـة ألا وهو العقيدة، التي إن صحت صح العمل، وإن فسدت ضاع العمل وأُحبط.

والكتاب نفيس في طريقة عرضه، وفريد في أسلوبه ونهجه.

استهواني منذ سنوات كثيرة، فقرأته عشرات المرات، أحياناً لنفسي، وأحياناً مدرِّساً لما فيه أو شارحاً لبعض فقراته ولكني في كل مرة أضطرُّ إلى استحضار دلائل موضوعاته وشواهدها، وما يؤيدها من حجج وبراهين حتى تشكَّل الكتاب في ذهني بصورة شبه مصغَّرة عما أقدمه اليوم.

ومما رغبني في هذا الكتاب أيضاً أنه يعتقد عقيدة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم دون زيادة أو تحريفٍ أو تشويه، بعبارة مختصرة وكلمات موجزة، تروي غلة المستعجلِ، وتؤسس للمتعلم المتمهل أولى لَبِنَاتِ العلم.

ولكني أجد نفسي ملزماً أن أبيِّن بعضَ المفاهيم في مقدمة شرحي وتحقيقي للكتاب لأُلقي المزيد من الضوء، ولأوضح أكثر وأكثر عقيدة وآراء جميع أولئك الذين نديں لهم بالفضل والعرفان لجهودهم وعلومهم وتفانيهم في إيصال الفكر الإسلامي علماً وعملاً إلينا جيلاً بعد جيل سواء أكانت آراؤهم توافق ما ارتأيته عند بعضهم أم تخالفه طالما أنهم ضمن الخط العقيدي الصحيح مما قال به المشهود لهم بالعلم والتحقيق من سلفٍ أو خلف،

لذلك عرضت آراء الجميع مع أدلتهم دون إفراط أو تفريط راجياً الله عز وجل أن يُلهم علماءنا العمل بما تقتضيه الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾.

ولا بد مرة ثانية من الوقوف بأدب واحترام أمام علماء أمتنا سواء أشاركناهم في الرأي أم خالفناهم فيه، فَلِكِلَيْهما الأجر والثواب إن شاء الله، ويحضرني الحديث الشريف الجامع «انما الأعمال بالنيات» ولا شك عندي أن الكلام الأول وهو مذهب السلف هو الكلام الأصح، والكلام الآخر هو

الذي لا أستطيع الأخذ به، مع تقديري لقائليه ومعتقديه. والله أعلم.

وقد سميتُ شرحي المسجل في هامش الكتاب « الإيمان : أركانه ، دلائله ، ثمراته » وهو شرح موجز لطيف يوضح المعاني الغريبة ، ويزجي الدليل تلو الدليل من كتاب الله تعالى ، وسنة الرسول ﷺ بأوجز عبارة ، وأدق اصطلاح . راجياً من الله تعالى أن ينفع به ، ويجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

اللهم اجعلنا من عبادك الذين يبلغون رسالاتك ويخشونك ولا يخشون أحداً سواك. وكفى بالله حسيباً.

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

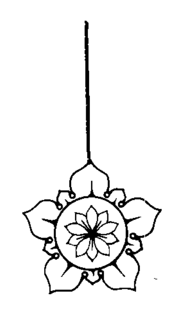

مؤلف الكتاب

اسمه ونسبه ومولده:

هو طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهوب السَّمُعوني الجزائري هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر إلى دمشق سنة ١٢٦٣ هـ حيث تولى قضاء المالكية، ثم الدمشقي ولد في دمشق في ربيع الثاني سنة ١٢٦٨ هـ: ١٨٥٢ م. وسماه شيخ والده (الطاهر)، باحث من أكابر العلماء بالدين واللغة والأدب كان شغوفاً باقتناء المخطوطات وجمعها والبحث عنها، شارك في إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق، وجمع فيها ما تفرق في خزائن العامة كما ساعد على إنشاء المكتبة الخالدية في القدس.

رحلاته:

١ ـ في عام ١٣٢٥ هـ: ١٩١٨ م انتقل إلى مصر وسكن القاهرة.
٢ ـ في عام ١٣٣٨ هـ: ١٩٢٠ م عاد إلى دمشق ليكون عضواً في المجمع العلمي العربي وسمي حينها مديراً لدار الكتب الظاهرية.

علومه:

دعا له والده وذكر دعاءه في حاشية المجموع الفقهي بقوله «طهره الله من رجس دنياه، وبارك في عمره، وَرَزَقَهُ العلم والعمل به» وقد استجاب الله دعاء الأب فكان عالماً بالدين واللغة والأدب.

نشأته العلمية:

دخل الشيخ طاهر المدرسة الجقمقية الاستعدادية وتخرج منها شيخاً عالماً، وقد جمع في دراسته إلى جانب علوم الدين واللغة والأدب علوم الطبيعة والرياضيات، كما أتقن تاريخ الملل والنحل.

شيوخه:

١ ـ والده الشيخ صالح بن أحمد الجزائري.
٢ ـ الشيخ عبد الرحمن البوشناقي، أخذ عنه: العربية والفارسية والتركية ومبادىء العلوم.
٣ ـ عبد الغني الميداني الغنيمي، أخذ عنه: الفقه والأصول.

وفاته:

أحسَّ رحمه الله وهو في مصر بدنو أجله فعاد إلى دمشق وقد ضعفت قواه وظهر عليه الهرم وبقي إلى أن توفي رحمه الله بعد ثلاثة أشهر من عودته من القاهرة.

في ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ الموافق لـ ٥ كانون الثاني ١٩٢٠ ودفن في مقبرة ذي الكفل في سفح جبل قاسيون. رحمه الله.

ما أُلِّف عنه:

١ ـ كتب الأستاذ خالد الرَّيان في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٧٥.

٢ ـ ألف الشيخ محمد سعيد الباني الدمشقي كتاباً سماه: تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر: وهو مطبوع، فصّل فيه تاريخ حياته، وأفاض في الكلام على أخلاقه ومزاياه.

٣ ـ كما ألّف الدكتور عدنان الخطيب كتاباً أسماه: الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، وأعلام من خريجي مدرسته.

مراجع ترجمته:

١ ـ مذكرات المؤلف.

٢ ـ مجلة المجمع العلمي العربي ١/١٧، ٣/١٧٥.

٣ ـ محاضرة كرد علي في مجلة المجمع ٨/٥٧٧ ـ ٥٩٦ ـ ٦٦٦ ـ ٦٧٩.

٤ ـ كنوز الأجداد محمد كرد علي ٥ ـ ٤٦.

٥ ـ الأعلام للزركلي ٣/٢٢٢.

٦ ـ مُعجم المطبوعات العربية لسركيس ٦٨٨ ـ ٦٩١.

٧ ـ هدية العارفين للبغدادي ١ ـ ٤٣٢.

٨ ـ تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر لسعيد الباني.

٩ ـ فهرس الأزهرية ١/١٤٦، ٣٠٤ ٦٠/١٦٤.

١٠ ـ فهرس التيمورية ١/١٦٥، ٢١٨، ٢٤٧، ٢/٢٨، ٦٢، ٣/٥٦، ٤/٣٠، ٧٩، ١٩٢، ٦/١٢٤.

١١ ـ إيضاح المكنون للبغدادي ١/٢٢، ١٧٢، ٢٢٤، ٢٨٨، ٣٢١، ٣٧٩، ٢/١٢٤، ٢٠٤، ٤٥٥، ٥٩٦.

١٢ ـ فهرس دار الكتبالمصرية ٢/١٤، ١٧٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣/١٣، ٦٢، ٦٧، ٨٢، ٧/٩، ٦٢، ٦٩.

١٣ ـ مجلة المجمع العلمي العربي ٢/١٧ ـ ٢١، ٨/٥٧٧ ـ ٥٩٦، ٦٦٦ ـ ٦٧٩.

١٤ ـ المشرق ٨/١٤٤ ـ ١٤٨.

١٥ ـ المقتطف ٥٦/١٦٤ ـ ١٦٦، ٢٩٧ ـ ٣٠٤.

١٦ ـ المنار ٢٢ / ٦٣٥ ـ ٦٤٠ .
١٧ ـ مجلة الأزهر عدد شهر صَفَر ١٣٧٣ هـ ٢٥ /١٧٣، ١٧٤ .
١٨ ـ معجم المؤلفين ٣ /٣٥، ٣٦، ٣٧ .

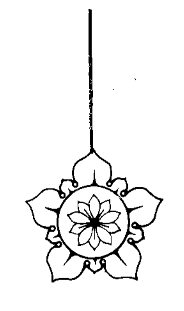

المفهوم الأوّل

النزول إلى السماء الدنيا، وأمثال ذلك، مما جاء به القرآن الكريم أو السنة الشريفة كالمجيء، والإتيان، والإستواء على العرش، والضحك، والفرح، والنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، من صفات الله عز وجل.

قال الله سبحانه وتعالىٰ لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] وقال عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال الله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢] وقال الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: «ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ الىٰ السَّماءِ حينَ يبقىٰ ثلثُ اللَّيلِ الآخِرِ»، وروى أنسَ عن النبي ﷺ قال: «لا تزالُ جهنَّمُ يُلْقى فيها، وتقولُ: هلْ مِن مزيدٍ حتَّى يضعُ ربُّ العزَّةِ فيها قدمَهُ» وفي رواية أبي هريرة: «حتَّى يضعُ اللَّهُ رِجْلَهُ».

وفي حديث أبي هريرة في آخر من يخرج من النار: «فيضحكُ اللَّهُ مِنْهُ، ثمَّ يأذَنُ لَهُ في دخولِ الجنَّةِ» وفي حديث جابر: «فَيَتَجلَّىٰ لهم يَضْحَكُ».

وفي حديث أنسٍ وغيره: «للَّهُ أفرحُ بتوبَةِ عَبْدِهِمِنْ أَحَدِكم يَسْقُطُ علىٰ بَعيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ في أَرْضٍ فلاةٍ».

فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمعُ يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيءُ من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل: ﴿وَالرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ يَقُوْلُوْنَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

قال سفيان بن عيينة: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوتُ عليه، ليس لأحدٍ أن يفسره إلا الله عز وجل ورسله.

وسأل رجلٌ مالك بن أنس عن قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيفُ غير معقول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يُخرج من المجلس.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك

ابن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال: أمِرُّوها، كما جاءت بلا كيف.

وقال الزُّهري: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وقال بعض السلف: قدَمُ الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم.

أقول: وعلى هذا أغلب علماء الأمة، لا يخالفهم في ذلك إلا متأول دونما، ردٍ على ما سبق.

أما رأي الإمام ابن الأثير الجزري (توفي: ٦٠٦ هـ) فقد أَورده في كتابه «النهاية في غريب الحديث»، ويعتمده علماء الأمة الإسلامية، فهو الآتي «نَزَلَ»: فيه «إنَّ اللَّهَ تعالىٰ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إلىٰ سَماءِ الدُّنيا» النزول والصعود، والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس. والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقُربُها من العباد، وتخصيصها بالليل والثلث الأخير منه؛ لأنه وقت التهجد، غفلةِ الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله وافرة، وذلك مَظِنة القبول والإجابة. اهـ. عن الإمام البغوي في شرح السنة.

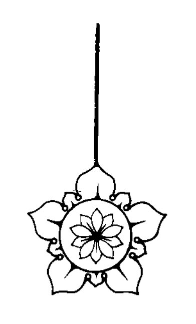

المفهوم الثاني

إن الله عز وجل، ليس لـه شريـك ولا ظهير، ولا يتحيَّز في مكان ولا ينحصر في زمان، ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا يصـح عليه شيء من لوازمها كـأن يشار إليه بها ههنـا أو هناك أو تنسب إليـه الحركـة والانتقال من مكـان إلى آخر، ولا يصـح عليه الجهـل ولا الكذب ولا النـوم أو النسيـان أو القسر والإكراه. إلى آخر ما هنالك من أضداد الصفات التي ذكرناها.

غـير أنه يُشكـل عـلى هـذا ـ بحسب الـظاهـر ـ آيـات في كتـاب الله، وأحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ، تفيد بظاهر ألفاظها وتعابيرها ثبوت بعض هـذه النقائص أو النقـائض التي نفيناهـا عن ذات الله جل جـلاله، كـالجهة والجسميـة والجوارح والأعضـاء والتحيز في المكـان. كقولـه سبحانـه وتعـالى: ﴿**وجـاء ربك والملك صفـاً صفاً**﴾ [الفجـر: ٢٢] وقـولـه: ﴿**يـد الله فـوق أيـديهم**﴾ [الفتح: ١٠] وقـوله: ﴿**بـل يـداه مبسـوطتـان ينفق كيف يشـاء**﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥] وكقولـه عليه الصـلاة والسـلام: «إنَّ قلوبَ بني آدمَ بَـيْـنَ أُصْبَعَـيْنِ مِنْ أَصـابِـعِ الـرَّحمـٰنِ» وقوله: «إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صورَتِهِ».

فكيف نوفق بين ما ذكرنـاه وأوضحناه بـالأدلة القـاطعة اليقينيـة، وبين ظاهر الآيات والنصوص؟

والجواب: أن هذه النصوص القرآنيـة من نوع المتشـابه الـذي ذكر الله عز وجل أن في كتابه الكريم آيات منه، والمقصود بـالمتشابـه كل نص تجـاذبته

الاحتمالات حول المعنى المراد منه وأوهم بظاهره ما قامت الأدلة على نفيه. غير أن هنالك آيات أخرى تتعلق بصفات الله تعالىٰ أيضاً، ولكنها محكمات أي قاطعة في دلالتها لا تحتمل إلا معناها الواضح الصريح كقوله جل جلاله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١]. وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

وقد أوضح الله في كتابه بصريح العبارة، ضرورة اثبات المؤمن للنصوص المحكمة في كتابه، وبناء عقيدته في الله بموجبها، ووضع النصوص المتشابهة، من ورائها، من حيث فهمها والوقوف على المعنى المراد منها. وشدد النكير على من يتجاهل النصوص المحكمة النيرة القاطعة ليلحق العبارة المتشابهة الغامضة ويفسرها كما يشاء. وذلك في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ آلْكِتابَ مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا آلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ آبْتِغاءَ آلْفِتْنَةِ وَآبْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ آللَّهُ وآلرَّاسِخُونَ فِي آلْعِلْمِ، يَقُولُونَ آمنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاّ أُوْلُوا آلألبابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وبناء على ذلك فقد اتفق المسلمون كلهم، على تنزيه الله تعالى عما يقتضيه ظاهر تلك النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، من الصفات المنافية لكمال الله وألوهيته، تنفيذاً لأمر الله عز وجل، وانسجاماً مع تحذيره من اتباع المتشابه والخوض في تأويله مع ترك المحكم الواضح.

وبعد أن اتفقوا على ذلك (وهذا هو القدر الذي يجب أن يعتقده المسلم) **اختلفوا** في موقفهم من النصوص المتشابهة، إلى **مذهبين**: **أولهما**: تمسك به السلف المتقدمون، **وثانيهما**: جَنَح إليه من بعدهم من المتأخرين.

فمذهب السلف: هو عدم الخوض في أي تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه النصوص، والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله تعالى لذاته، مع تنزيهه عز وجل عن

كل نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك التـأويل الإجمـالي لهذه النصـوص وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز وجل.

أما ترك هذه النصوص على ظاهرها دون أي تأويل لها سواء كان إجمالياً أم تفصيلياً، فهو غـير جائـز، وهو شيء لم يجنـح إليه سلف ولا خلف. كيف ولو فعلت ذلك لحمّلت عقلك معاني متناقضة في شأن كثير من هذه الصفات. فقد أسند الله إلىٰ نفسه العين بالإفراد في قوله تعـالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عـلىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وأسند مرة أخرى إلى نفسه الأعين بالجمع فقال: ﴿وَٱصْبِرِ لِحُكْمِ رَبِّـكَ فَإِنَّـكَ بِأَعْيُنِنَـا﴾]الطور: ٤٨] فلو ذهبت تفسر كـلاً من الآيتـين عـلى ظاهرها دون أي تأويـل لألزمت القـرآن بتناقض هـو منه بـريء. وتقرأ قـوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ على ٱلْعَرْشِ ٱسْتَـوى﴾ [طه: ٥] وقـوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فإن فسرت الآيتين على ظـاهرهمـا دون أي تـأويل إجمـالي ألزمت كتـاب الله تعالى بـالتناقض الـواضـح، إذ كيف يكـون مستوياً على عرشه وبدون أي تـأويل، ويكـون في الوقت نفسـه أقرب إليَّ من حبل الوريد بدون أي تأويل؟!

وتَقْرأ قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُم مَنْ في ٱلسَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُم ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] وقولـه: ﴿وَهُوَ ٱلَّـذي في ٱلسَّماءِ إِلَـٰهٌ وَفي ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فلئن فسرتها عـلى ظاهـرها أقحمت التنـاقض في كتاب الله جل جلاله كما هو واضح.

ولكنك عندما تنزّه اللّه حيال جميع هذه الآيات عن مشابهة مخلوقه في أن يتحيز في مكان وتكون له أبعاد وأعضاء وصورة وشكل، ثم أثبتَّ لله مـا أثبته هو لذاته، على نحو يليق بكماله، وذلك بأن تكل تفصيـل المقصود بكـلٍّ من هـذه النصوص إلى الله جـل جـلالـه سلمْت بـذلـك من التنـاقض في الفهم وسلَّمت القرآن من توهم أي تنـاقض فيه. وهـذه هي طريقـة السلف رحمهم الله، ألا تراهم يقولون عنها: **أمرُّوها بلا كيف**. إذ لولا أنهم يؤولونها تأويـلاً

إجمالياً بالمعنى الذي أوضحنا لما صَحَّ منهم أن يقولوا ذلك. إذ لماذا يمرُّونها بلا كيف ودلالة اللغة والصياغة العربية واضحة تمنع كل لَبْسٍ أو جهل سواء في أصل المعنى أم كيفيته. ولكنهم أيقنوا أن الأمر ليس على ظاهر ما تدل عليه الصياغة واللغة. بسبب ما دلت عليه الآيات المحكمة الأخرى، وهذا تأويل إجمالي واضح. إلا أنهم لم يقحموا أنفسهم في تفسير هذه النصوص بكيفيات أخرى يلتزمونها. وهذا هو التوقف عن التأويل التفصيلي. فتأمل ذلك فإنه دقيق وهو الحق الذي لا ينبغي أن يلتبس عليك بغيره.

ومذهب الخلف: الذين جاؤوا من بعدهم هو تأويل هذه النصوص بما يضعها على صراط واحد من الوفاق مع النصوص المحكمة الأخرى التي تقطع بتنزه الله عن الجهة والمكان والجارحة. ففسروا الاستواء في ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ بتسلط القوة والسلطان، وهو معنى ثابت في اللغة ومعروف. وفسروا اليد في الآية الأخرى، بالقوة أو بالكرم، والعين بالعناية والرعاية، وفسروا الأصبعين في الحديث بالإرادة والقدرة، وقالوا عن حديث «إن الله خلق آدم على صورته» إن الضمير راجع إلى آدم لا إلىٰ ذات الله، أي إن الله خلق آدم منذ اللحظة التي أوجده فيها على صورته وهيئته التي كان يتمتع بها فيما بعد، فلم يتطور من شكل إلى آخر، وقالوا أيضاً: ويحتمل أن يعود الضمير فيه علىٰ الأخ المذكور في صدر الحديث، حسب الرواية التي ساقها مسلم في صحيحه، وهي «فإذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته» أي فليكرم الوجه الذي هو مظهر لخلقة آدم عليه الصلاة والسلام. أو الضمير عائد إلى ذات الله تعالى، وذلك كما تدل عليه الرواية الثابتة الأخرى: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن. ولكن الصورة بمعنى الصفة، أي جهزه بصفات العلم والإدراك التي هي من صفات الله عز وجل.

واعلم أن مذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم،

والأوفق مع الإيمان الفطري المرتكز في كل من العقل والقلب. ومذهب الخلف في عصرهم أصبح هو المصير الذي لا يمكن التحول عنه، بسبب ما قامت فيه من المذاهب الفكرية والمناقشات العلمية، وبسبب ظهور البلاغة العربية مقعّدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة.

وهكذا، فقد كان بوسع الإمام مالك رحمه الله أن يقول في عصره لذلك الذي سأله عن معنى الاستواء في الآية: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخين، بسبب قرب العهد بعصر النبوة وامتداد الإشراق إليه. ولكن لم يكن بوسع الأئمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم واتساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلّموا ذلك التسليم دون أن يحلّلوا هذه النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز، خصوصاً وإن فيهم الزنادقة الذين لا يقنعهم منهج التسليم، ويتظاهرون بالحاجة إلى الفهم التفصيلي، وإن كانوا في حقيقة الأمر مُعانِدين.

والمهم أن تعلم بأن كلاً من المذهبين منهجان إلى غاية واحدة، لأن المآل فيهما إلى أن الله عز وجل لا يشبهه شيء من مخلوقاته وأنه منزّه عن جميع صفات النقص. فالخلاف الذي تراه بينهما خلاف لفظي وشكلي فقط[1]. اهـ.

---

(١) رمضان البوطي ١١٢ - ١١٦ - كبرى اليقينات الكونية.

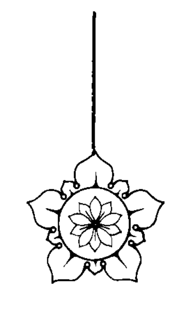

المفهوم الثالث

كـان الله عز وجـل ولا مكان، ولا عـرش، ولا ماء، ولا فضـاء، ولا هـواء، ولا خلاء، ولا مـلاء. وكان منفـرداً في قِـدَمِـهِ وأزليتـه، متـوحـداً في فردانيته، سبحانه وتعالى في تلك الفردانية، لا يوصف بـأنه فـوق كذا، إذ لا شيء غيره، هو سابق التحت والفوق، اللذين هما جهتا العالم، وهما لازمـان له، والرب تعالىٰ في تلْك الفردانية منزّه عن لوازم الحدوث.

فلما اقتضت الإرادة المقـدسـة، بخلق الأكـوان المحـدثـة، المخلوقـة المحدودة ذوات الجهات، اقتضت الإرادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل. وهو سبحانه منزّه عن صفات الحدوث، فكوَّن الأكوانٰ، وجعل لهـا جهتي العلو والسفل.

واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جهة التحت لكونه، مربوباً، مخلوقاً. واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فـوق الكون، بـاعتبار الكـون المحدث لا باعتبار فردانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، والرب سبحانه وتعـالىٰ كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته، لم يحدث لـه في ذاته ولا في صفـاته، مـا لم يكن في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان.

لكن لمـا أحدث المـربـوب المخلوق ذا الجهـات، والحـدود، والخـلاء، والملاء، والفوقيـة، .والتحتية، كـان مقتضى حكم العظمـة للربوبيـة أن يكون فوق ملكه، وأن تكونِ المملكة تحتـهِ باعتبـار الحدوث من الكـون، لا باعتبـار

القدم من المكوِّن، فإذا أشير إليه بشيء يستحيل أن يشار إليه من الجهة التحتية، أو من جهة اليمنة أو اليسرة، بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العلو. والفوقية، ثم الإشارة هي بحسب الكون، وحدوثه، وأسفله. فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الرب تعالىٰ كما يليق به، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون، فإنها إشارة إلىٰ جسم، وتلك إشارة إلى إثبات.

إذا علم ذلك فالإستواء صفة له كانت في قدمه، لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش، كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمها إلا في الآخرة وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في محله.

فإذا علم ذلك، فالأمر الذي يهرب المتأولون منه، حيث أوّلوا الفوقية: بفوقية المرتبة، والاستواء: بالاستيلاء، فنحن أشد الناس هرباً من ذلك، وتنزيهاً للباري سبحانه وتعالى عن الحد الذي يحصره، فلا يحد بحد يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته. والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله، إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا.

وهو في قدمه سبحانه منزه عن صفات الحدوث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية وإنَّ من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه إلا من فوقه، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل، ولا يكفيه الوهم، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً، لا مكيفاً ولا ممثلاً.

وجه آخر من البيان: هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود، ثابت الذات، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته، يتجلىٰ يوم القيامة للأبصار، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته، فإذا ثبت ذلك، فقد أوجد الأكوان في محل وحيز، وهو سبحانه في قدمه منزّه عن المحلِّ

والحيز، فيستحيل شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحل فيه، أو يختلط بـه، لأن القديم لا يحل في الحادث، وليس هو محلاً للحوادث، فلزم أن يكون بائناً عنـه، وإذا كان بـائناً عنـه، فيستحيل أن يكـون العامّ في جهـة الفـوق، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت.

هذا محال شرعاً وعقلاً، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكيّف ولا تمثـل، بل يعلم من حيث الجملة والثبـوت، لا من حيث التمثيـل والتكييف.

وقد سبق الكلام في أن الاشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا، لأنا في محل وحيِّز وحَدٍّ، والقدم لا فوق فيه ولا جهة، ولا بد من معرفة الموجـد، وقد ثبت بينـونته عن مخلوقـاته، واستحـالة علوهـا عليه، فـلا يمكن معرفتـه والإشـارة بـالدعـاء إليه، إلا من جهـة الفوق، لأنهـا أنسب الجهـات إليـه، وهـو غـير محصور فيها، بـل هو كمـا كان في أزليتـه وقدمـه، **فإذا أراد المحـدث أن يشـير إلـى القديم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية، لأن المشير في محل له فوق وتحت، والمشار إليـه قديمٌ بـاعتبار قـدمه، لا فـوق هناك ولا تحت، وباعتبار حدوثنا وتسفّلنا هو فوقنا.**

فإذا أشرت إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به، لا كما نتوهمه في الفوقيـة المنسـوبـة إلى الأجسـام، لكنـا نعلمهـا من جهـة الإجمـال والثبـوت لا جهـة التمثيل.

فصل: إذا علمنا ذلك واعتقدنـاه، تخلصنا من شبـه التأويـل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيـه والتمثيل، وأثبتنـا علو ربنا وفـوقيته، واستـواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمتـه، والحق واضحٌ في ذلـك، والصدر ينشـرح له.

. . . فالرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا

عن إثباتها ونفيها، عدولٌ عن المقصود منه في تعريفنا إيّاه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه، ولا نقف في ذلك.

والتشبيه والتمثيل حماقةٌ وجهالة، فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقع على الأمر المطلوب منه، إن شاء الله تعالى.

والذي شرح الله به صدري، في حال هؤلاء الشيوخ، الذين أوَّلوا الاستواء: بالاستيلاء، والنزول: بنزول الأمر، واليدين: بالنعمتين والقدرتين، هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب الا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يَديْن تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه.

[ثم يقول]: ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى فنقول:

لا ريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والارادة، والكلام لله تعالى.

ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا. فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعَرَض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، هي صفات كما يليق به، لا كما يليق بنا.

فكذلك نقول نحن: حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان، وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ـ أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع، وحقيقة البصر، فإنهما معلومان، ولا يكيفان.

كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع، والبصر، غير مكيف.

وكذلك نزوله ثابت معلوم، غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله.

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مُبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد. وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر، لأن الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم.

نقول لهم: في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَضِ!!

وإن قالوا: لا عرض، بل كما يليق به. قلنا: في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يُلزموننا في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والتعجب، من التشبيه.

نُلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا مما يوصف به المخلوق!!

وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف. فإن فهموا في هذه

الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع[1]، صفات المخلوقين من الأعراض. !!

فما يُلزموننا في تلك الصفات، من التشبيه، والجسمية، نلزمهم في هذه الصفات من العرضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات، التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء.

ومَنْ أنْصَفَ، عرف ما قلناه واعتقده، وقَبِلَ نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل، والتشبيه، والتأويل، والوقوف.

وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد، وهو الكتاب والسنة.

---

(١) وهي: العلم ـ الارادة ـ القدرة ـ السمع ـ البصر ـ الكلام ـ الحياة.

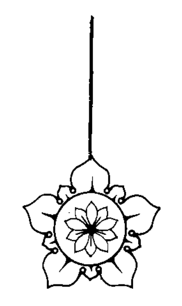

مسألة الصفات

وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو، ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته، وكيف ينكر الوجه الكريم ويحرف! وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾[1] وقال ﷺ في دعائه: «نسألك لذة النظر إلى وجهك»[مسند الإمام أحمد ٥/١٩١].

وإذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث، وبغيره من الآيات والنصوص، فكذلك صفة اليدين، والضحك، والتعجب. ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل بعظمته، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه، فكذلك في اليدين، والقبضتين. والقدم، والضحك، والتعجب، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته، فيحصل بذلك اثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكييف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل بذلك أيضاً عدم الوقوف

(١) سورة الرحمن: ٢٧.

بإثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقل نحن من صفات المخلوقين.

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق.

فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه، فقال تعالى: ﴿المص﴾ [ص: ١] وقال: ﴿ق. والقرآن المجيد﴾ [ق: ١].

وكذلك جاء الحديث: «فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ»[مسند الإمام أحمد ٣/٤٩٥].

وفي الحديث: «لا أقول: ﴿ألم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[الحاكم في مستدركه] وهو حديث صحيح.

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إذا قلنا بالحرف، فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات[1].

وكذلك إذا قلنا بالصوت، أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة. فعملوا بهذا من التخبيط، كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو: ان الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات. وكذلك له صوت يليق به يسمع، ولا يفتقر(لا يحتاج)ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة. فكلام الله كما يليق به، وصوته كما يليق به.

ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما في جناب الحق لا يحتاجان إلى ذلك.

---

(١) اللحمة المشرفة على الحلق فوق الحنجرة.

وهذا ينشرح الصدر له، ويستريح الإنسـان به من التعسف والتكلف، بقوله: هذا عبارة عن ذلك.

فإن قيل: هذا الذي يقرؤه القارىء، هو عين قراءة الله، وعين تكلمه هو؟

قلنا: لا، بل القارىء يؤدي كلام الله إنما ينسب إلى من قالـه مبتدئـاً، لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً. ولفظ القارىء في غير القـرآن مخلوق. وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدى عن الكلام المؤدى عنـه، ولهذا منـع السلف عن قول: لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لا يتميز، كما منعوا عن قول: لفـظي بالقـرآن غير مخلوق. فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه، كيلا يؤدي الكـلام في ذلك إلى القـول بخلق القرآن. ومـا أمر السلف بـالسكـوت عنه، يجب السكوت عنه. والله الموفق والمعين.

فصل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء، عال على عرشه بـلا حصر، ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، كان لقلبه قبلة في صـلاته، وتوجهه، ودعائه. ومن لا يعرف ربه بأنه فـوق السماء عـلى عرشـه فإنـه يبقى ضائعاً لا يعـرف وجهة معبـوده، لكن ربما عـرفه بسمعـه، وبصره، وقـدمه، وتلك بلا هذا معـرفة نـاقصة، بخـلاف من عرف أن إلهـة الذي يعبـده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر، توجه قلبه إلى جهـة العرش، منـزهاً لـه تعالى، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالماً أن هـذه الجهات من حـدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الاشارة إلى ربنـا في قدمـه وأزليته إلا بهـا، لأنا محـدثون، والمحدث لا بد له في اشارتـه إلى جهة، فتقـع تلك الإشارة إلى ربـه كما يليق بعظمته، لا كما يتوهمه هو من نفسه.

فصل

ويعتقـد أنه في علوه قـريب من خلقه، وهـو معهم بعلمـه، وسمعـه، وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاتـه، فوق الأشيـاء، فوق العـرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه، واستنار، وأضـاء بأنـوار المعرفـة والايمان وعكفت أشعة العظمة على قلبه، وروحـه، ونفسه، فـانشرح لـذلك صدره، وقوي ايمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه، من الحصر والحلول، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين.

بخلاف من لا يعرف وجهة معبودة، وتكون الجاريـة راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء، عرفته بأنه في السماء، لما قال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية أين الله»[1].

قالت: في السماء. وأقرها على ذلك.

فإنَّ «في» تأتي بمعنى «على» كقوله: ﴿يتيهون في الأرض﴾[2] أي: عـلى الأرض، وكقوله: ﴿لأصلِّبنكم في جذوع النخل﴾[3]أي: على جذوع النخل.

فمن تكون الجارية أعلم بالله منـه، لكونـه لا يعرف معبـوده، فإنـه لا يزال مظلم القلب، لا يستنير بأنواع المعرفة والايمان، ومن أنكر هذا القـول، فليؤمن بـه، وليجرب، ولينـظر إلى مولاه من فـوق عرشـه، بقلبه مبصـراً من وجه، أعمى من وجه كما سبق، مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة الحصر، والتحديد، والتكييف، فإنه إذا علم ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد بركته ونوره عاجلاً وآجـلاً، ولا ينبئك مثـل خبير، والله الموفق والمعين[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد. أقول: نفهم ذلك حسب ما سبق من بيان.

(٢) سورة المائدة: ٢٦.

(٣) سورة طه: ٧١.

(٤) الإمام الجويني إمام الحرمين المتوفى ٤٣٨ هـ من كتابه «النصيحة في صفات الرب».

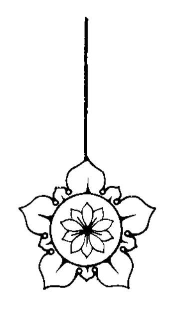

المفهوم الرابع

انقسم الناس في هذا إلى أربع فرق:

١ ـ المجسِّمة والمشبِّهة:

وهم فرقة أخذت بظواهر ألفاظ الصفات، فنسبت إلى الله وجهاً كوجوه الخلق، ويداً أو أيدِياً كأيديهم، وضحكاً كضحكهم، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً، وبعضهم فرضه شاباً.

وهؤلاء ليسوا من الإسلام في شيء، وليس لقولهم نصيب من الصحة، ويكفي في الردِّ عليهم قول الله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**.

٢ ـ المعطلة والجهمية:

وهم فرقة عطلت معاني ألفاظ الصفات على أيِّ وجهٍ، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة، والجوارحُ يجب أن تُنفىٰ عنه سبحانه، فبذلك يعطلون صفات اللهِ تبارك وتعالى، ويتظاهرون بتقديسه.

ولا يمكن لإنسان عاقل أن يستسيغ هذا القول.

ولا شك أن هذين الرأيين باطلان، وبقي رأيـان هما محـلُّ أنظار العلماء في العقيدة الإسلامية، وهما رأي السَّلف، ورأي الخلف.

٣ ـ مذهب السَّلف في آيات الصفات وأحاديثها:

أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا: نؤمن بهـذه الآيات والأحـاديث كـما وردت، ونترك بيـان المقصود منهـا لله تبارك وتعـالى، فهم يُثبتون اليـد، والعـين، والأعين، والاستـواء، والضَّحك، والتعجب... الـخ وكـلُّ ذلـك بمعانٍ لا ندركها، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها، ولا سيما وقـد نهينا عن ذلــك في قـول النبي ﷺ: «تفكَّـرُوا في خَلْقِ اللَّهِ، ولا تتفكَّـرُوا في آلِلَّهِ فـإنّكم لَنْ تَقْدُرُوه قَـدْرَهُ»، قال العـراقي: رواه أبو نعيم في «الحليـة» بإسنـاد ضعيف، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه، ورواه أبو الشيخ. كذلك مع قـطعهم رضوان الله عليهم بـانتفاء المشـابهة بـين الله وبين الخلق، وهذه أقوال بعضهم:

قول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما:

نقـل أبو القـاسم اللالكـائي في كتابـه «أصول السنـة» قـول محمـد بن الحسن، قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليـه النبي ﷺ، وفرق الجمـاعة، فـإنهم لم يصفوا ولـم يفسـروا، ولكن أفتَوْا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا.

قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

نقل الخلال في كتابه: «السنة» عن حنبل، وذكـره حنبل في كتبـه، مثل كتاب «السنة والمحنة» قال حنبل: سألت أبا عبد الله، [أي: أحمد بن حنبل] عن الأحـاديث التي تروى: «إن الله تبـارك وتعالى ينـزل إلى سـماء الـدنيـا».

و «إنّ الله يُرى» و «إن الله يضع قدمه» وما أشبه هذه الأحاديث؟.

فقال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نردُّ منها شيئاً، ونعلمُ أنَّ ما جاءَ به الرسولُ ﷺ حقٌّ إذا كان بأسانيد صِحاحٍ، ولا نردُّ على اللهِ قولَه، ولا يوصفُ اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصفَ بهِ نفسهُ بلا حدٍّ ولا غايةٍ، ليسَ كمثلهِ شيءٌ.

قول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه:

روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن وهبٍ يقولُ: سمعتُ مالك بن أنسٍ يقولُ: منْ وصفَ شيئاً من ذات الله مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]. فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فأشار إلى عينه أو أذنه أو شيءٍ من يديه، قُطِعَ ذلك منه[١]، لأنه شبّه الله بنفسه.

ثم قال مالكٌ: أما سمعتَ قول البراءِ حينَ حدّثَ أن النبي ﷺ: لا يُضحّي بأربع منَ الضحايا، وأشار البراءُ بيدهِ كما أشارَ النبيُ ﷺ، قال البراءُ: ويدي أقصرُ منْ يدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فكرِه البراءُ أن يَصِفَ يدَ رسولِ اللهِ ﷺ إجلالاً لهُ وهوَ مخلوقٌ، فكيف الخالقُ الذي ليسَ كمثلهِ شيء؟!

قول عبد العزيز بن عبد الله الماجشون:

روى الأثرم والطمنكيُّ وابنُ بطة في كتبهم عن الماجشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمه بقوله: فما وصف اللهُ من نفسهِ، فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه، ولم نتكلفْ منه صنعة ما سواهُ، لا هذا ولا هذا، لا نجحدُ ما وصفَ، ولا نتكلفُ معرفةَ ما لم يصِف[٢].

(١) لأنه بإشارته إلى عنقه ويده وأذنه وعينه يكون قد شبّه الله بنفسه، والأمر على خلاف ذلك، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

(٢) من (البنا: العقائد ٦٦ ـ ٧٨).

وما ذُكِرَ عن رسول الله ﷺ أنه سماه من صفةِ ربه فهو بمنزلة ما سَمَّىٰ ووصفَ الربُّ تعالىٰ من نفسه، والراسخون في العلم، الواقفون حيث انتهى بهم علمهم، الواصفون لربهم بما وصفَ نفسَهُ التاركون لما ترك من ذِكْرها لا ينكرونَ صفة ما سمَّىٰ منها جَحْداً، ولا يتكلفون وصفه بما لم يُسمّ تَعمُّقاً، لأن الحق تَرْكُ ما تَرَكَ وسمىٰ ما سمىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غيرَ سَبيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

٤ ـ مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها:

قالوا إننا نقطع بأنّ معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يُراد بها ظواهرُها، وعلىٰ ذلك فهي مجازاتٌ لا مانعَ من تأويلها، فأخذوا يؤولون «الوجه» بالذات، و«اليد» بالقدرة، وما إلى ذلك، هرباً من شبهة التشبيه. وهذه أقوال بعضِهم:

قول الإمام ابن الجوزي الحنبلي:

قال في كتابه: «دفع شبهة التشبيه»: قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]: أي يريدونه. وقال الضّحاك وأبو عبيدة: ﴿كُلُّ شيَءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وإن مما قاله أيضاً: إن الأخذ بالظاهر هو تجسيمٌ وتشبيه، لأن ظاهر اللفظ هو ما وضع له، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة، وهكذا. وأما مذهبُ السلف فليس أخذُها على ظاهرها، ولكنْ السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها. وأيضاً فقد ذهب إلى أن تسميتها آياتِ صفاتٍ، وأحاديث صفات تسميه مبتدعة لم تردِ في كتاب ولا في سنة، وليست حقيقية، فإنها إضافات ليس غير، واستدل على كلامه في ذلك بأدلةٍ كثيرة.

قول الإمام أبي حامد الغزالي:

تحدث الإمام الغزالي في كتاب «العلم» من كتاب «احياء علوم الدين» عن نسبة العلم الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأتى فيه الظُّهورُ والبطون، والتأويلُ وغير التأويل: القسم الثالث أن يكون الشيءُ بحيثُ لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضررٌ، ولكن يُكنّى عنه على سبيل الاستعارة والرمز، ليكونَ وقْعُهُ في قلب المستمع أغلبُ... ومنه قوله ﷺ: «إنّ المسجدَ لَيَنزَوِي من النخامةِ كما تنزوِي الجِلْدَةُ على النار». ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظماً، ورمْيَ النخامة فيه تحقيرٌ له فيفاد معنى المسجدية مضادّة النار لاتصال أجزاء الجلدةِ. وأنت ترىٰ أن ساحة المسجد لا تنقبضُ من نخامةٍ، وكذلك قوله ﷺ: «أمَا يخشىٰ الذي يرفعُ رأسَه قبل الإمامِ أنْ يحوِّلَ اللهُ رأسَه رأس حمارٍ» وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائنٌ؛ إذ رأسُ الحمار لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته، وهي البلادةُ والحمقُ، وَمَن رفعَ رأسَه قبل الإمام فقد صار رأسُه رأسَ الحِمارِ في معنى البلادة والحمق، وهو المقصودُ دونَ الشكل. وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقليٍّ أو شرعيٍّ. أما العقليُّ فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن، كقوله ﷺ: «قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمنِ» إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سرُّ الأصابع، وروحها الخفيُّ، وكنّى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمامِ الاقتدار.

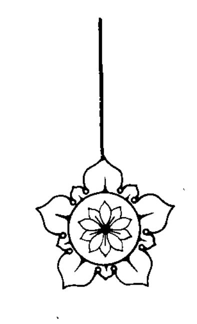

خلاصة بالغة الأهمية

نتبين مما سبق أن هنالك طريقين صحيحين من بين الطرق الأربع التي تبعها المسلمون ومن ينسب إلى الإسلام هما: طريقا السلف والخلف، وقد كان هذان الطريقان مثار خلافٍ شديدٍ بين علماء الكلام من أئمة المسلمين، وأخذ كلٌ يدعم مذهبه بالحجج والأدلة، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمت أن مسافة الخُلْفِ بينَ الطريقين لا تحتملُ شيئاً من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرف والغُلوَّ، وأن البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القولُ، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ، هي التفويض للهِ تبارك وتعالىٰ، وهذا ما سيأتي تفصيله:

قد علمت أن مذهب السلف في الآيات والأحاديث التي تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالىٰ أن يُمروُّها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها، وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيه الله تبارك وتعالىٰ عن مشابهة خلقهِ، وعلمتَ أن الخلاف شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية، وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ:

أولاً: اتفق الفريقان على تنزيه اللّه تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِه.

ثانياً: كلٌّ منهما يقطعُ بأن المراد بألفاظِ هذه النصوص في حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التي وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ في حق المخلوقات، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفي التشبيه.

ثالثاً: كـلُّ من الفريقـين يعلمُ أن الألفاظ تـوضع للتعبـير عما يجـولُ في النفـوس، أو يقعُ تحتَ الحـواسِ مما يتعلق بـأصحاب اللغـة وواضعيها، وأن اللغـاتِ، مهما اتسعت، لا تحيطُ بمـا ليس لأهلها بحقـائقه علمٌ، وحقـائقٌ ما يتعلقُ بـذات الله تبارك وتعـالى من هذا القبيل، فاللغـةُ أقصرُ من أن تؤاتينا بالألفاظِ التي تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكم في تحديـد المعاني بهـذه الألفاظ تغريرٌ.

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلفُ والخلفُ على أصل التأويلِ، وانحصرَ الخـلافُ بينهما في أنَّ الخلفَ زادوا تحـديد المعنى المـراد حيثما ألجـأتهم ضـرورةُ التنـزيه إلى ذلـك حفظاً لعقـائد العـوام من شبهـةِ التشبيـه، وهـو خـلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً.

ونحن نعتقدُ أن رأي السلفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعـاني إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباع، حسماً لمادة التأويل والتعطيل، فإن كنت ممن أسعده اللهُ بطمأنينة الإيمان، وأثلجَ صدرَه ببرد اليقين فلا تعدل بـه بـديلاً، ونعتقـدُ إلى جانب هـذا أن تأويـلات الخلف لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسـوقٍ، ولا تستدعي هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيـرهم قديمـاً وحديثاً، وصـدرُ الإسلام أوسـعُ من هذا كله. وقـد لجأ أشـدُّ الناسِ تمسكـاً برأي السلف، رضوانُ الله عليهم، إلى التأويل في عـدَّةِ مواطنَ، وهـو الإمام أحمـدُ بنُ حنبلٍ رضي الله عنـه، من ذلك تـأويلهُ الحديثِ: «الحجـرُ الأسودُ يمـينُ اللهِ في أرضـهِ» وقـولـه ﷺ: «قلبُ المؤمن بـين إصبعـين من أصـابـعِ الرحمن» وقوله ﷺ: «إني لأجد نَفَس الرحمنِ من جانب اليمن».

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسـافة الخـلافِ بين الرأيين مما لا يدعُ مجالاً للنزاعِ والجدالِ ولا سيما وقد قيد الخلفُ أنفسهم في التـأويل بجـوازه عقلاً وشـرعـاً، بحيث لا يصـطدمُ بـأصـلٍ من أصـول الدينِ.

قال الرازيُّ في كتابه «أساسُ التقديس»: «ثم إنْ جوّزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجز التأويل فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى، فهذا هو القانون الكليُّ المرجوعُ إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيقُ».

وخلاصة هذا البحث أن السلفَ والخلف قد اتفقا علىٰ أن المرادَ غيرُ الظاهر المتعارف بين الخلْق، وهو تأويلٌ في الجملة، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصول الشرعية غير جائزٍ، فانحصر الخلافُ في تأويل الألفاظِ بما يجوزُ في الشرعِ، وهو هينٌ كما ترىٰ، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه هِمَمُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ، وجمْعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، واللهُ حسبنا ونعم الوكيلُ.

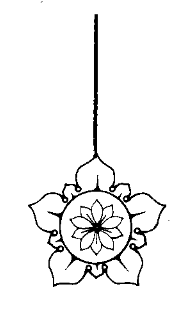

مفاهيم إضافية لا بد منها

ـ لما كان الباري أكمل الموجودات، وجب أن تكون معرفتنا به أكمل معرفة، كما أن معرفتنا بالرياضيات أكمل من معرفتنا بالطبيعيات، لأن موضوع الأولى أكمل من موضوع الثانية، ولكننا أمام **الموجود الأول** كأننا أمام أبهر الأنوار فلا نستطيع احتماله لضعف أبصارنا، لأن الضعف الناشىء عن ملابساتنا من مادة يقيد معارفنا ويعوقها.

الحِسُ لا يدرك صِرْفَ المعنى، ولا يدرك الصورة إلا في المادة، وإلا مع علائق المادة، من كمٍّ، وكيْفٍ، وأيْن، ووضع.

والروح الإنسانية هي التي تتمكن من تصور المعنى بحده وحقيقته، منفوض اللواحق الغريبة، مأخوذاً من حيث يشترك فيه الكثير، وذلك بقوة تسمى **العقل النظري**.

وليس من شأن المحسوس، من حيث هو محسوس، أن يُعقل.
ولا من شأن المعقول من حيث هو معقول، أن يُحس. . .
والحِسُ تَصَرُّفه فيما هو من عالم الخلق.
والعقل تَصَرُّفه فيما هو من عالم الأمر.
وما هو فوق الخلق والأمر، فهو محتجب عن الحِسِ والعقل.

والذات الأحدية لا سبيل إلى إدراك كنه ذاتها، بل تُعرف صفاتها. وإن عقولنا لا تصلح أن تكون حكماً نحكم بها على أعمال الله تعالى، وأسراره في

خلقه، وتدبيره وقضائه وقدره.

ولابن خلدون تعليق يضيف بُعْداً آخر يضيء به جنبات الموضوع إذ يقول: وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلّهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمعٌ في محال، ومثال ذلك: مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أَن يزنَ به الجبال، وهذا لا يدلُّ على أن الميزان في أحكامه غير صادق ولكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرةٌ من ذرات الوجود الحاصل منه.

إن العقل الانساني قادر من غير تعليم ولا إرشاد، على إدراك وجود الله بآثاره في مخلوقاته، وإقامة الأدلة الصادقة على ذلك.

إنَّ عقلنا يستمد المعرفة من الحواس. ولكن هذا العقل، الذي خلقه الله فينا، هو قوةٌ منظِّمة تستطيع تنظيم التنبهات الحسية، وتحويلها إلى أفكار كلية، وأفكار مجردة.

ولكن معرفةِ العقل المباشرة مقصورةٌ على عالم الحس، وليس في مقدوره أن يَعرف من طريق مباشر، العالم الذي فوق المحسوس ووراء الطبيعة، وإن كان في مقدوره، بالمقارنة والقياس، أن يستمد معرفةً غير مباشرة لوجود اللّه، ويدرك أنه الخالق لجميع الكائنات، وأنه واحدٌ أحد، لا يتعدد، ولا يتحول، ولا يحيط به زمان، لأن سِرَّ العالم الموحَد يكشفُ عن عقل واحد وقانون واحد، أمّا ما وراء ذلك من أسرار الغيب، فالعقل عاجزٌ عن إدراكه، كما أنه يصعب عليه تصور الأمور غير المادية كالروح، لأن تجاربنا الخارجية كلها، مقصورة على الأشياء المادية، بل هو عاجزٌ عن إدراك كثير من حقائق الحياة، فما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة، اهـ.

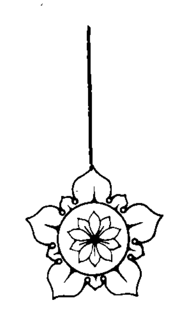

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *

﴿وبعـد﴾ فهذه رسـالة مشتملة عـلى المسائـل المهمة في علم الكـلام، قريبة المـأخذ لـلأفهام. جعلتهـا على طـريق السؤال والجواب، وتسـاهلت في عباراتها تسهيلاً للطلاب.

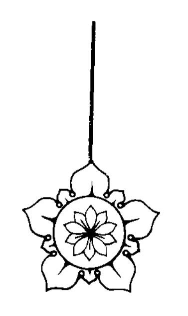

المقدمة
وتشتمل على أربع مسائل

سؤال: ما معنى العقيدة الإسلامية؟

الجواب: العقيدة الإسلامية هي الأمور التي يعتقدُها أهلُ الإسلام أي يجزمون بصِحَّتها.

سؤال: ما معنى الإسلام؟

الجواب: الإسلامُ هو الإقرارُ باللسانِ، والتصديقُ بالقلب بأن جميع ما جاء به نبيّنا محمدٌ ﷺ حقٌ وصدق.

سؤال: ما أركان العقيدة الإسلامية: أي أساسها؟

الجواب: أركانُ العقيدةِ الإسلاميةِ أشياء: وهي الإيمانُ بالله تعالى، والإيمان بملائكتِهِ، والإيمانُ بكتبه، والإيمانُ برسله، والإيمانُ باليوم الآخر، والإيمانُ بالقدر.

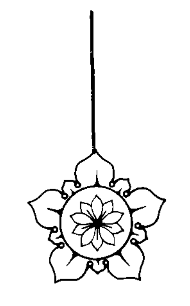

المبحث الأول
في الإيمان بالله سبحانه وتعالى

سؤال: كيف الإيمان بالله سبحانه وتعالى إجمالاً [1]؟

الجواب: هو أن نعتقد أنَّ الله سبحانهُ وتعالى متصفٌ بجميع صفات الكمال ومُنزَّهٌ عن جميع صفات النقصان.

سؤال: كيف الإيمان بالله سبحانه وتعالى تفصيلاً؟

الجواب: هو أن نعتقد أن الله سبحانهُ وتعالى موصوف: بالوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادثِ، والقيام بنفسه، والوحدانيةِ، والحياة والعلم، والقدرةِ، والارادة، والسمع والبَصَر، والكلام، وأنه حيٌّ، عليمٌ، قادرٌ، مريدٌ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ.

سؤال: كيف الاعتقاد بالوجود لله تعالى؟

الجواب: هو أن نعتقد أنَّ الله تعالى موجود[2] وأنَّ وجودَهُ بذاته ليس بواسطة شيء، وأنَّ وجودَهُ واجبٌ لا يمكنُ أنْ يلحقهُ عَدَمٌ.

سؤال: كيف الاعتقاد بالْقِدَمِ لله سبحانه وتعالى؟

الجواب: هو أن نَعْتَقِدَ أنَّ الله قديمٌ: نعني أنه موجودٌ قبل كلِّ شيء، وأنهُ لم

---

(١) الإيمان بالله عز وجل بالإجمال هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقصان.

(٢) من أولى الصفات التي يثبتها العقل، وتدركها البديهة، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة ابراهيم: ١٠].

يكنُ معدوماً في وقت من الأوقات، وأنّ وجودهُ ليسَ لهُ أولٌ[1].

سؤال: كيف الاعتقاد بالبقاء لله سبحانه وتعالى؟

الجواب: هو أن نعتقدَ أنَّ الله سبحانه وتعالى باقٍ وأن بقاءه ليس له نهايةٌ، وأنَّهُ لا يزولُ أصْلاً، ولا يلحقه العدمُ في وقت من الأوقات[2].

سؤال: كيف الاعتقاد بمخالفته تعالى للحوادث، أي المخلوقات؟

الجواب: هو أنْ نعتقدَ أنَّ الله تعالى لا يشابهُهُ شيءٌ: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[3].

سؤال: كيف الاعتقاد بمخالفة ذاته سبحانه للحوادث؟

الجواب: هو أنْ نعتقد أنَّ ذات الله سبحانه وتعالى لا تشابِهُ شيئاً من المخلوقات بوجهٍ من الوجوه، فكلُّ ما تراه أو يخطر ببالكَ فالله ليس كذلك. ليس كمِثْلِهِ شيءٌ[4].

---

(١) ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [سورة الحديد: ٣] وقول النبي ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

(٢) ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

(٣) دليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة الصمد]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ. بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠، ١٠١].

(٤) ودليله قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

سؤال: كيف الاعتقاد بأن صفاته سبحانه وتعالى مخالفةً صفات الحوادث؟

الجواب: هو أنْ نعتقدَ أنَّ عِلمَ الله تعالى لا يُشابه علمنا، وأنَّ قدرته لا تُشابه قدْرتَنا، وأنَّ إرادته لا تشابهُ إرادتنا، وأنَّ حياته لا تشابه حياتنا، وأنَّ سمعه لا يشابه سمعنا، وأن بصره لا يشابه بصرنا، وأنَّ كلامَهُ لا يشابه كلامنا[١].

سؤال: كيف الاعتقاد بأن أفعاله سبحانه وتعالى مخالفة لأفعال الحوادث؟

الجواب: هو أنْ نعتقد أنَّ أفعال المولى سبحانه وتعالى لا تشابه أفعال شيء من الموجودات. لأن المولى سبحانه وتعالى يفعل الأشياءَ بلا واسطةٍ ولا آلةٍ **﴿إنَّما أمْرُه إذا أراد شيئاً أنْ يقولَ لهُ كُنْ فَيكون﴾**[٢] وأنه لا يفعل شيئاً لاحتياجه إليه، وأنه لا يفعلُ شيئاً عبثاً أي بغير فائدة لأنه سبحانه وتعالى حكيم﴾[٣].

---

(١) ونرى أن هناك كثيراً من الصفات يشترك فيها الانسان وهو من الحوادث مع الله جل جلاله كصفة العلم والقدرة والإدراك والسمع والبصر ونحوها. وذلك يناقض ما ثبت من أنه مخالف للحوادث حسب الظاهر.

والجواب أن الإنسان يتصف بطائفتين من الصفات: الأولى صفات هي في الحقيقة ثمرة الحدوث والمخلوقية القائمة فيه. كالتميز في المكان والزمان والحاجات الجسمية والنفسية المختلفة وعوارض العجز والضعف ومظاهر الطبع. فهذه صفات نابعة من كيانه الذي يتميز بالحدوث. اهـ.

والطائفة الثانية: صفات هي في الحقيقة تشترك في التسمية فقط مع صفات الله عز وجل، وتختلف عنها في الحقيقة والجوهر، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والإدراك، وما شابه ذلك.

(٢) سورة يس: ٨٥

(٣) حكيم: ذو الحكمة، وهي الإصابة في التقدير، والإحسان في التدبير، ولئن خَفِيتْ عنا الحكمة في بعض أفعال الخالق فذلك من قصور نظرنا، وضيق أفق تفكيرنا وتجاربنا.

سؤال : كيف الاعتقاد بقيامه تعالى بنفسه؟

الجواب : هــو أنْ نعتقـد أن الله سبحــانــه وتعــالى لا يحتـاج إلى شيء من الأشياء: فلا يحتاج إلى مكان ولا إلى محلّ ولا إلى شيء من المخلوقات أصـلاً. فهو الغنيُّ عن كل شيء وكلُّ شيء محتاج إليه سبحانه وتعالى(١).

سؤال : كيف الاعتقاد بحياة الله سبحانه وتعالى؟

الجواب : هـو أن نعتقـدَ أن الله تعـالى حيٌّ، وأن حيـاتَـهُ سبحـانــه ليستْ كحياتنا: فـإن حياتنـا بوسـائطَ كجريـان الدمِ والنفَس، وحيـاةُ الله سبحانـهُ ليست بواسطةِ شيءٍ. وهي قديمةٌ باقيةٌ لا يلحقُها العدمُ والتغيُّرُ أصلاً(٢).

سؤال : كيف الاعتقاد بوحدانية الله تعالى؟

الجواب : هو أن نعتقد أن الله تعالى واحدٌ ليس له شَريكٌ ولا نظيرٌ ولا مماثلٌ ولا ضدٌّ ولا معاند(٣).

سؤال: كيف الاعتقاد بعلم الله تعالى؟

الجواب : هـو أنْ نعتقدَ أن الله تعـالى موصـوفٌ بـالعلمِ، وأنَّـه بكـلِّ شيء عليمٌ: يعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ويعلمُ عدد حبَّات الرَّمـل، وعدد قطرات المطر، وأوراق الشجـر، ويعلمُ السرَّ وأخفى. لا تخفى عليه خـافيةٌ، وعلمه ليس بمكتَسَبٍ، بل يعلمُ الأشياء في الأزل قبل وُجودها(٤).

---

(١) ودليله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص: ٢].

(٢) ودليـل ثبوت هـذه الصفة قـوله تعـالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [سـورة البقرة: ٢٥٥].

(٣) ومعناها كذلك: سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالىٰ، والعلم بأنه جـل وعلا ليس كُلًّا مركباً من أجزاء، ولا كلياً مكوناً من جزئيات، دليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٤) دليل ثبوت هذه الصفة آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سؤال: كيف الاعتقاد بقدرة الله تعالى:

الجواب: هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالقدرة وأنه على كلِّ شيء قديرٌ[1].

سؤال: كيف الاعتقاد بإرادة الله تعالى؟

الجواب: هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوفٌ بالإرادة، وأنَّه مُريدٌ لا يقعُ شيء إلاَّ بإرادته، فأيُّ شيء أرادهُ كان، وأيُّ شيء لم يُردْهُ فإنَّه لا يمكن أن يكون[2].

سؤال: كيف الاعتقاد بسمع الله تعالى؟

الجواب: هو أن نعتقدَ أن الله سبحانه موصوفٌ بالسَّمع، وأنَّه يسمع كلَّ شيءٍ، سِراً كان أو جهراً. لكنَّ سمعَهُ سُبحانه وتعالى ليس كسَمْعنَا فإن سَمعنا بواسطة الأذن، وسَمعه سبحانه ليس بواسطة شيء[3].

سؤال: كيف الاعتقاد ببصر الله تعالى؟

الجواب: هو أن نعتقد أنَّ اللهَ سبحانهُ موصوفٌ بالبصَر[4] وأنه بكلِّ شيء

---

(١) وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ يتأتّىٰ بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكييفه، وهذه الصفة من حيث هي معنى أزلي قائم بذاته تعالىٰ، صالحٌ لأن يُوجد به الممكنات أو يعدمها أو يكيّفها، بقطع النظر عن التنفيذ. ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ [الكهف: ٤٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٢].

(٢) وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من وجود وعدم وتكيّف. ودليل ثبوتها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة هود: ١٠٧] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(٣) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

(٤) وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، ودليل ثبوت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

بصيرٌ: يبصر حتى النملةَ السوداءَ في الليلة الظلماء وأصغرَ من ذلك، لا يخفى على بصره شيء في ظاهر الأرضِ وباطِنها وفوق السماء وما دُونَها، لكنَّ بصرَهُ سبحانه ليس كبصرنا: فإن بصرَنا يكون بواسطة العين، وبصرهُ سبحانه ليس بواسطة شيء.

سؤال: كيف الاعتقاد بكلام الله تعالى؟

الجواب: هو أَنْ نعتقدَ أنَّ الله سبحانهُ موصوف بالكلامِ، وأنَّ كلامَهُ لا يُشْبِهُ كلامنا: فإنَّ كلامنا مخلوقٌ فينا وبواسطة آلة من فمٍ ولسانٍ وشفَتيْن، وكلامُه سبحانه وتعالى ليس كذلك[1].

سؤال: أخبرني عن الصفات المستحيلة التي لا يتصف بها المولى سبحانه وتعالى؟

الجواب: الصفات المستحيلة في حقِّ الله تعالى - أي التي لا يمكنُ أن يتصفَ بها - هي العدمُ، والحدوث، والفناءُ، والمماثلةُ للحوادث، والاحتياجُ لغيرهِ سبحانه وتعالى، ووجودُ الشريك؛ والعجزُ والكراهية. أي وقوع شيء بغير إرادته. والجهل[2] وأشباه ذلك، وإنما استحال اتصافه بها لأنها صفاتُ نقصانٍ، والمولى سبحانه وتعالى لا يتصفُ إلا بصفات الكمال.

سؤال: أخبرني عن الأشياء التي يجوز صدورها من المولى سبحانه وتعالى.

الجواب: هي فعلُ الممكنات وتركُهَا، مثلُ أن يُجعلَ الإنسانُ غنياً أو فقيراً،

(١) وهو أيضاً صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ هو بها آمر وناهٍ ومخبر، ودليل ثبوت هذه الصفة لله تعالى قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِيْنَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوْسَىٰ تَكْلِيْماً﴾ [النساء: ١٦٤].

(٢) كما أنه جل شأنه ليس له شريك ولا ظهير، ولا يتحيز في مكان، ولا ينحصر في زمان، ليس بجوهر ولا عرض، ولا جسم، ولا يصح عليه شيء من لوازمها كأن يشار إليه بها هنا أو هناك أو تنسب إليه الحركة والانتقال من مكان إلى آخر إلى غير ذلك من أضداد صفات الكمال.

صحيحاً أو سقيماً، وأشباهُ ذلك.

سؤال: **ما المراد بالاستواء في قوله سبحانه: «الرحمن على العرشِ استوى»[1]؟**

الجواب: المرادُ به استواءٌ يليقُ بجلال الرحمن جلَّ وعلا، فالاستواءُ معلومٌ والكيَفُ مجهولٌ. واستواؤه على العرش ليسَ كاستواءِ الإنسانِ على السفينةِ أو ظهر الدابةِ أو السرير مثلا، فمن تصوَّر مثل ذلك فهو ممن غلبَ عليه الوهمُ لأنه شبَّه الخالق بالمخلوقات مع أنه قد ثَبَتَ في العقلِ والنقلِ أنه ليس كمثله شيء. فكما أنَّ ذاته لا تشابه ذات شيء من المخلوقات كذلك ما يُنسَبُ إليه سبحانه لا يُشَابه شَيئاً مما ينْسب إليها.

سؤال: **هل يضاف إلى الله سبحانه يدان أو أعين أو نحو ذلك؟**

الجواب: قد وَرَدَ في الكتاب العزيز إضافةُ اليد إلى الله سبحانه في قوْله جل شأنُهُ: ﴿**يَدُ اللهِ فوْقَ أيْدِيهِمْ**﴾[2] واليدين في قوله سبحانه: ﴿**يَا إبْليسُ مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[3] والأعين في قوله سبحانه: ﴿**وَاصْبِرْ بِحُكْمِ رَبِّكَ فَإنَّكَ بأعْيُنِنَا**﴾[4] إلا أنه لا يجوز أن يضافَ إليه إلا ما أضافه إلى نفسِهِ في كتابه المنزل أو أضافه إليه نبيُّه المرسل.

سؤال: **ما المراد باليد هنا؟**

الجواب: المرادُ باليد هنا معنىً يليقُ بجلاله سبحانه. وكذلك الأعينُ. **فإن** كل ما يُضَافُ إليه سبحانه يكونُ غيرَ مماثلٍ لما يُضاف إلى شيء من المخلوقات ومن اعتقد أن له يداً كيد شيء منها أو عيناً كذلك فهو ممن غلب عليه الوهمُ

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٤) سورة الطور، الآية: ٤٨.

إذ شبَّه اللهَ بخلقه وهو ليس كمثله شيء.

سؤال: إلى من ينسب ما ذكرته في معنى الاستواء واليدين والأعين؟

الجواب: يُنسَبُ ذلك إلى جُمْهورِ السَّلف[1]. وأمـا الخَلفُ فأكثـرُهمْ يُفسرون الاستواء بالاستيلاءِ واليدَ بالنعمةِ أو القدرةِ، والأعينَ بالحفظ والرعاية، وذلك لتـوهُّم كثير منهم أنها إنْ لم تؤوَّلْ وتُصْـرفْ عن ظاهـرها وأهَمَتِ التشبيـهَ وقـد

(١) هذه الآيات الكريمة التي تثبت إضـافة اليـد، واليدين، والأعين، إلىٰ الله سبحـانـه وتعـالىٰ وكـذلك الأحـاديث الشريفـة الثابتـة عن رسول الله ﷺ، تـوهم بظاهـر ألفاظهـا وتعابيـرها: الجهـة، والجسمية، والجـوارح، والأعضـاء، والتميـز في المكـان، لكن الـواقـع أن هـذه النصوص من نوع المتشابه الذي ذكره الله عز وجل بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْـزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـابَ مِنْـهُ آيَاتٌ مُحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَـاتٌ فَأَمَّـا ٱلَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَاْتَشَاْبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَـاْءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَـاءَ تَأْوِيْلِهِ. وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلـرَّاسِخُونَ فِيْ ٱلْعِلْمِ. يَقُـولُوْنَ آمَنَّـاْ بِهِ كُـلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَـاْ وَمَا يَـذَّكَّـرُ إِلاَّ أُوْلُـوْ ٱلأَلْبابِ﴾ [سـورة آل عمـران: ٧]. والمتشابه كـلُّ نصٍّ تجاذبتـه الاحتمالات حـول معناه، وأوهم بـظاهره مـا قامت الأدلـة على نفيـه. هذا وقـد وردت آيات محكمـات قاطعـة في دلالتها لا تحتمـل إلا معناهـا الـواضـح الصريح كقول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله ﴿قُـلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾. وعلى المؤمن اتباع النصوص المحكمة وبناء عقيـدته بمـوجبها، ومن ثمَّ يفهم ويقف على معنى النصـوص المتشابهة على ضوئها، وقد ذهب علماء المسلمين في موقفهم من النصوص المتشـابهة إلى مذهبين:

١ ـ الأول: تمسك به السلف الصالح رضي الله عنهم وهو: عدم الخوض في أي تأويـل أو تفسير مفصل لهذه النصوص، والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله جل وعـلا لذاتـه، مع تنـزيهه سبحانه عن كل نقص ومشابهـة للحوادث على نحـو يليق بكمالـه، ومن المأثـور عنهم ـ أي السلف ـ قولهم أمرُّوها بلا كيْف [الترمذي في السنن، باب فضل الصدقة].

٢ ـ الثـاني: جاء بـه الخلف وهم الذين جـاؤوا من بعدهم، إذ أوّلـوا هذه النصـوص بما يجعلها تتفق من كل الجوانب والنصوص المحكمة التي تقطع بتنزه الله عن الجهة والمكـان والجارحة.

وقـد أخذ بـالمذهب الثـاني كثير من العلمـاء من الذين شهـدنا فضلهم، وعلو بـاعهم في العلم والتقىٰ والورع والتحقيق كأمثـال شيخنا الشيـخ مُلاَّ رمضـان البوطي وابنـه عالم دمشق الدكتور محمد سعيد، وذلك بالإضافة إلى يقينهم بصحة المذهب الأول.

اتَّفَقَ الفريقان على أنَّ المشبِّه ضال وغيرهم يقولون إنما تُوهِمُ التشبيهَ لو لم يَدُلَّ العقلُ والنقلُ على التنزيه، فمن شبَّه فمِنْ نفسِه أُتِيَ.

سؤال: كيف نثبت شيئاً ثم نقول: «الكيف فيه مجهول».

الجواب: هذا غيرُ مُستغرَب فإنا نعلمُ أنَّ نفوسنا مُتَّصفةٌ بصفاتٍ كالعلم والقدرة والإرادةِ، مع أنَّا لا نعلم كيفية قيام هذه الصفات بها، بل إنَّا نَسْمَعُ ونُبْصرُ ولا نَعلم كيفيةَ حصول السَّمْعِ والإبصارِ بل إننا نتكلمُ ولا نعلم كيف صَدَرَ مِنَّا الكلام. فإن علِمنا شيئاً من ذلك فقد غابتْ عنا أشْياءُ، مثل هذا لا يُحصى. فإذا كان هذا فيما يُضاف إلينا فكيفَ الحالُ فيما يُضافُ إليه سبحانه.

سؤال: أي المذهبين أرجح؟

الجواب: مذهبُ السلفِ أرجَحُ لأنه أسْلمُ وأحْكم، وأما مذهبُ الخلفِ فإنما يَسُوغ الأخذُ به عندَ الضرورة، وذلك فيما إذا خُشيَ على بعض الناس إن لم تُؤوَّلْ لهم تلك الكلمُ أن يَقعُوا في مِهواة التَّشبيه فيؤولُ لهم ذلك تأويلاً سائغاً في اللغة المشهورة.

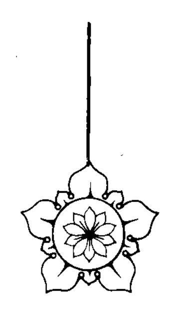

المبحث الثاني

في الإيمان بالملائكة
ويشتمل على ثلاث مسائل

سؤال: ما الملائكة؟

الجواب: هم أجسامٌ لطيفةٌ مخلوقة من نور[1] لا يأكلونَ ولا يشربون وهم عبادٌ مكْرَمون لا يَعصْونَ الله ما أمَرهمْ ويفعلون ما يُؤمرون[2].

سؤال: هل يرى البشر الملائكة؟

الجواب: لا يَرَى البشرُ «غيرُ الأنبياء» الملائكةَ إذا كانوا على صُوَرهم الأصلية لأنهم أجسامٌ لطيفة كما أنهم لا يَرَوْن الهواء مع كونه جسماً مالئاً للفضاء لطيفاً، وأما إذا تشكلوا بصورة جسم كثيفٍ كالإنسان فيرَونَهم[3]، ورؤيَةُ

---

(١) ودليل ثبوت وجودهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقوله جل شأنه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. ودليل أنهم مخلوقون من نور الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» [رواه مسلم].

(٢) انظر قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(٣) ثبت ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وكما جاء في الحديث الشريف عن عمر رضي الله عنه عندما جاء جبريل إلى النبي ﷺ بصورة

الأنبياءِ لهم على صورهم الأصلية خُصوصيةٌ خُصُّوا بها لتلقَّى المسائلِ الدينية والأحكامِ الشرعية، ولا يُستغربُ وجودُ أجسام بيننا لا نراها بالعين، وفي المعتادِ ما يُقَرِّب ذلك للذهن ويرفع عنه الغَينَ[١] فإن أمامنا كثيراً من الأجسامِ الحيَّةِ وغير الحيَّة لا يدركها البصرُ. ولولاالنَّظارة[٢] لظننا أنها ليس لها عينٌ ولا أثرٌ. كما لا يستغرب اختصاصُ البعضِ بإبصار أشياءَ لا تُدْركها سائر الأبصارِ فإن في اختلاف الأبصار في قوة الادراك وضعفِه عبرةً لأولي الأبصار.

سؤال: ما وظائف الملائكة؟

الجواب: مِنَ الملائكة رُسلٌ بينَ المولى سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورُسله[٣]، كجبرائيل عليه السلام. ومنهم حفَظةٌ على العباد[٤]. ومنهم مَنْ يكتُبُ أعمال العباد من خير أو شر[٦]. ومنهم موكَّلُون بالجنَّة ونعيمها. ومنهم موكلون

= «رجلٍ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سوادِ الشعر، ليس عليه أثر السفر» ولا يعرفه منهم أحد.

(١) الغَيْن: هو السحاب، وغين على قلبه: غطي عليه وأُلبس وغُشّي، وفي الحديث الشريف: «إنّه لَيُغانُ على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة» [البخاري في الدعوات باب استغفار النبي ﷺ]. (لسان العرب: ٢/١٠٣٩).

(٢) أي أجهزة التكبير كالمجهر والتلسكوب.

(٣) انظر قول الله تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

(٤) دليله قوله تعالىٰ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

(٥) ثبت بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٦) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣]. وقوله جل شأنه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٣].

بالنار، وعذابها[1]. ومنهم حَمَلَةُ العرش[2]. ومنهم قائمون بمصالحِ العبادِ ومنافِعهم[3]. إلى غيرِ ذلك مما أُمروا به.

---

(١) ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٢٧] وقوله تعالىٰ: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

(٢) ودليله قول الله تعالىٰ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

(٣) ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله جل شأنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

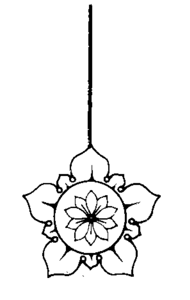

المبحث الثالث

في الإيمان بكتبه سبحانه وتعالى

سؤال: كيف الاعتقاد بكتب الله تعالى؟

الجواب: أعتقدُ أن لله تعالى كتباً أنزَلها على أنبيائه[1]، وبيّن فيها أمْرَهُ ونهيَه ووَعْدَهُ ووعيدَهُ. وهي كلامُ الله تعالى حقيقةً بدَتْ منه بلا كيفيةٍ قَوْلاً[2]، وأنزَلها وحْياً[3]. من تلك الكتبِ التوراة والإنجيلُ والزَّبورُ والقرآنُ.

سؤال: كيف اعتقادك بالتوراة؟

الجواب: أعتقدُ أنَّ التوراةَ كتابٌ من كتب الله سبحانه وتعالى أنزَله على كليمِه مُوسى عليه السلام. وذلك لبيان الأحكام الشرعيةِ، والعقائد الصحيحةِ المَرْضِيَّةِ، والتبشير بظهور نبيٍّ من بني إسماعيلَ وهوَ نبينا عليه الصلاة والسلامُ[4]، والإشارة إلى أنه يأتي بشرعٍ جديدٍ يهدي إلى دارِ

---

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٢) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤].

(٣) دليله قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

(٤) دليله قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا=

السلام(١).

سؤال: كيف اعتقاد العلماء الأعلام في حق التوراة الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب؟

الجواب: اعتقاد العلماء الأعلام أن التوراة الموجودة الآن قد لحقها التحريفُ(٢)، ومما يدلُّ على ذلك أنه ليسَ فيها ذكر الجنة والنارِ وحالِ البعثِ والحشر والجزاءِ. مع أن ذلك أهمُّ ما يذكرُ في الكتب الإلهية. ومما يدُلُّ أيضاً على كونها محرَّفةً ذكرُ وفاةِ موسى عليه السلام فيها في الباب الأخير منها والحال أنه هو الذي أنزلت عليه.

سؤال: كيف اعتقادك في الزبور؟

الجواب: أعتقدُ أنَّ الزبور كتابٌ من كتبِ الله سبحانه وتعالى أنزله على سيدنا داود عليه السلام، وهو عبارة عن أدعيةٍ وأذكارٍ ومواعظَ وحكم. وليسَ فيه أحكامٌ شرعية لأن داودَ عليه السلام كان مأموراً بآتباع الشريعةِ الموسَويَّةِ(٣).

= بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٢، ٣] وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُوْلَئِكَ بِالمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٢) دليله قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ...﴾ [المائدة: ١٣].

(٣) دليله قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنا دَاودَ زَبوراً﴾ [النساء: ١٦٣].

سؤال: كيف اعتقادك في الانجيل؟

الجواب: أعتقدُ أن الإنجيلَ كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى أنزله على المسيح عيسى عليه السلامُ، وذلك لبيان الحقائق، ودعوة الخلق لتوحيد الخالق، ونسخِ بعض أحكام التوراة الفرعيةِ على حسب الاقتضاء، والتبشير بظهورِ خاتم الأنبياء[١].

سؤال: كيف اعتقاد العلماء الأعلام في الانجيل المتداول الآن؟

الجواب: اعتقادُ العلماء أنَّ الإنجيلَ المتداول الآن له أربع نسخٍ ألّفها أربعةٌ بعضهمْ لم يرَ المسيحَ عليه السلامُ أصلاً وهم متىً[٢] ومرقص[٣] ولوقا[٤] ويوحَنا[٥]. وإنجيلُ كلٍّ من هؤلاء مناقض للآخر في كثير من المطالب. وقد كانَ للنصارَى أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة، لكن بعد رفعِ سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء بأكثر من مائتي سنة عوَّلوا على إلغائها ما عدا هذه

(١) دليله قول اللّه تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ الإنجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

(٢) هو أحد حواريي عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ الاثني عشر، جال في البلاد مبشراً حتى وصل الحبشة فأقام فيها نحواً من ثلاث وعشرين سنة إلى أن قتل سنة ٧٠ م أو ٦٢ (عن مصادر مسيحية).

(٣) يقال إن اسمه يوحنا، ومرقص لقبه، ليس من الحواريين، لازم خاله برنابا، قتل في سجنه سنة ٦٢ م، قيل لأنه كان ينكر ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ.

(٤) ولد في أنطاكية، درس الطب ونجح فيه، لم يرَ المسيح ـ عليه السلام ـ ولم يسمع منه. لازم بولس (المسمى بالرسول) والمعروف بتحريفه الديانة النصرانية جملة وتفصيلاً، وقد حدثت أكثر المجازر ومراكز التعذيب بتخطيطه فقد كان يهودياً من الفريسيين.

(٥) وهو أحد الحواريين الاثني عشر، مات في أَفْسُس بعد اضطهاد شديد على أقوال، أقربها ٦٥ م.

الأربعةَ تخلّصا من كثرة التناقض، وتملصا من وفرة التضادِّ والتعارض[1].

سؤال: **كيف اعتقادك في القرآن؟**

الجواب: أعتقد أن القرآن أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرفِ أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو آخر الكتب الإلهيةِ نزولاً، وهو ناسخٌ لجميعِ الكتبِ قبله وحكمه باق إلى يوم القيامة[2]. لا يمكن أن يلحقه تغييرٌ ولا تبديلٌ[3] وهو أعظم آية على نبوَّة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكونِه أعظَم المعجزات[4].

سؤال: **لأي شيء كان القرآن الكريم أعظم المعجزات؟**

الجواب: إنما كان القرآنُ أعظَم المعجزاتِ لكونه آيةً عقليةً باقيةً مَدى الدهر، تشاهَدُ كلَّ حين بعين الفكر، وسواه من المعجزاتِ انقضتْ بانقضاء وقتها فلم يبق منها أثرٌ غير الخبر ووجْه إعجازه أنَّه بَلغَ في الفصاحةِ والبلاغةِ إلى حدٍّ خرج عن طوق البشرِ فإنَّ النبي عليه الصلاة والسلام تحدَّى به العَرب العرْباء وهم أفصحُ الأمم لساناً وأوضحهم بلاغة وبياناً. وقد وَصلوا في عصره في البلاغة وفَصْل الخطاب، لحالٍ يحيرُ العقولَ ويدهشُ الألبابَ، وبقي فيهم ثلاثةً وعشرينَ عاماً وهو يتحدَّاهم بالقرآن[5] أعظم تحدٍّ،

---

(١) وذلك في مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ م حيث اجتمع عددٌ كبير من البطارقة والأساقفة، وبعد جدل طويل ونقاشات حادة توصلوا إلى الإذعان للملك قسطنطين والذين قالوا بألوهية المسيح. ونسخ جميع الأناجيل عدا الأربعة المذكورة.

(٢) دليله قول الله تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَـٰبَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾** [المائدة: ٤٨].

(٣) دليل ذلك قول الله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩].

(٤) دليل ذلك قول الله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾** [البقرة: ٢٣].

(٥) دليله قوله تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا القُرءانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا القُرءآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**=

ويتصدى لتقريعهم بـه وإثارة هِمَمِهِمْ للتعـرُّض للمعارضـة أعظَم تصـدٍّ: فتارة يـطلب منهم الإتيـانَ بمثـل سـورة من القـرآن. وأن يستعينـوا بمن شـاءوه من الإنس والجـان، وتارة يَسمهم بـالعجز عن ذلـك، وعدم قـدْرتهمْ على سلوك تلك المسالك. وهم ذو النفـوس الأبيَّة، وأهـل الحميّةِ والعصبيـة فعجزوا عن ذلك عن آخرهم وترَكوا المعارَضة بالكلام إلى المعـارضة بـالحسام وعَـدَلوا عن المقـابلةِ باللسـان، إلى المقاتلة بـالسِّنان وحيث عجـز عرب ذلـك العصر فَمَنْ سِواهم يكون أعجزَ في هذا الأمر، وقد مضى إلى الآن أكثرُ من ألف وثلاثمائة عام، ولم يوجد أحد من البلغاء إلا وهو مسلمٌ أو ذو استسلام. فدلَّ عـلى أنهُ ليسَ من كلام البشر، بل هـو كلامُ خـالقِ القوى والقـدر(١). أنزلـه تصديقـاً لرسوله، وتحقيقاً لمقوله(٢). وهـذا الوجـهُ وحدهُ كـافٍ في الإعجاز وقـد انضم لهذا الوجه أوجه: أحدها: إخبارُهُ عن أمورٍ مغيبةٍ ظهرت كـما أخبرَ. ثـانيها: أنه لا يَمَلهُ السَّمع مهما تكرر. ثالثها: جمعهُ لعلوم لم تكن موجودة عند العرب

= ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ [الاسراء: ٨٨، ٨٩].

وانظر قوله تعالى: ﴿وَلَـوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَـرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَالْبَحرُ يَمُـدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

(١) وقد اطلعت مؤخراً على كتابٍ فريدٍ من نوعه يثبت إعجاز القـرآن الكريم وأنـه لا محالـة من عنـد الله عز وجـل وأن البشر مهمـا أوتوا من قـوى واختراعـات عاجـزون تمامـاً عن الاتيان ببعضه فضلاً عن إحصاء أوجه إعجـازه، وقد عـرض الكتاب ببعض التفصيـل تتطابق بعض الآيات وعدد حروفها مع أحدث النظريات الرياضية والتناسق والتكامل بشكـل يبهر الأبصـار بين معاني بعض الآيات ونتـائج عمليـات رياضيـة بحتة، استعـان مؤلف الكتاب لإخـراجها وتـوضيحها إلى حـاسبات الكتـرونية فضـلاً عن كونـه من حملة شهادة الـدكتوراة في العلوم الكونية

(٢) انظر قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَـرِيمٍ. وَمَا هُـوَ بِقَوْلِ شَـاعِرٍ قَلِيـلاً مَا تُؤْمِنُـونَ. وَلَا بَقول كَـاهِنٍ قَلِيلاً مَّـا تَذَكَّـرُونَ. تَنـزِيـلٌ مِن رَّبِّ العَالِمينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنهُ بِاليَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنهُ الوَتِينَ. فَمَـا مِنكُم مِنْ أَحَـدٍ عَنْهُ حَـٰجِـزِينَ. وَإِنَّهُ لَتَـذكِرَةٌ لِلْمتَّقِينَ. وَإِنَّـا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَـذِّبِين. وَإِنَّـهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [سورة الحاقة من الآية ٣٨ إلى ٥٠].

والعجم. رابعها: إنباؤه عن الوقائع الخالية وأحوال الأمم. والحال أن من أنزل عليه (عليه الصلاة والسلام) كان أمِّيّاً لا يكتبُ ولا يقرأ، لاستغنائه عن ذلك بالوحي، وليكونَ وجه الاعجاز بالقبولِ أحرى.

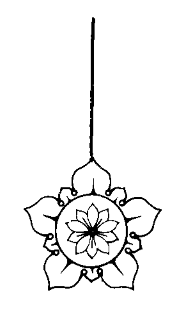

المبحث الرابع

في الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

سؤال: كيف اعتقادك برسل الله تعالى؟

الجواب: أعتقدُ أن لله رُسلاً أرسلهم رحمة منه وفضلاً: مبشرين للمحسن بالثواب، ومُنذرين للمُسيء بالعقاب[1] ومُبَيِّنين للناس ما يحتاجُونَ إليه من مصالح الدين والدنيا، ومُفيدين لهم ما يبلغُون به الدرَجة العليا[2] وأيّدهم بآياتٍ ظاهرةٍ ومعجزاتٍ باهرةٍ أوَّلهم آدمُ وآخرهم نبيُّنا محمدٌ عليهم الصلاة والسلام.

سؤال: ما معنى النبي؟

الجواب: النبيُّ إنسان[3] أوحي إليه بشرْع وإنْ لم يُؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه سُمِّيَ رسولاً أيضاً فكلُّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

---

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وإن مِنْ أُمَةٍ إلاَّ خلاَ فِيهَا نَـذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

(٢) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أن اعبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيهِ الضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُوا في الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

(٣) فلا بد أن يكون ذكراً، ثبت ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحِيَ إِلَيهِمْ...﴾ [الأنبياء: ٧]، وبشراً، لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ إن نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ابراهيم: ١١].

سؤال: كم عدد الأنبياء؟

الجواب: لا يُعلم عددُهم على اليقين[1]. والمذكور أسماؤهم في الكتاب العزيز خمسةٌ وعشرون[2] وهم: آدم، إدريس، نوحٌ، هودٌ، صالحٌ، إبراهيم، لوطٌ، إسماعيل، إسحاق، يعقوبُ، يوسفُ، أيُّوبُ، شُعيبٌ، موسى، هرونُ، ذو الكفل، داودُ، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريَّاءُ، يحيى، عيسى، محمدُ عليهم الصلاة والسلام، وهم رسلٌ أيضاً.

سؤال: ما المعجزة؟

الجواب: المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على يدِ مدَّعي النبوة موافقاً لدعواه، على وجهٍ يُعجزُ المنكرين الإتيان بمثلِه.

---

(١) روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: قلت يارسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يارسول الله ونبيٌّ كان؟ قال: «نعم نبي مكلم» قلت: يارسول اللّه كم المرسلون؟ قال: «ثلاث مائة وبضعة عشر، جماً غفيراً». وفي رواية أبي أُمامة قال أبو ذر قلت يارسول الله: كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

(٢) وهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلاً، ولا يجوز للمسلم أن يجهل كون أحدهم نبياً، وقد جمعت أسماء ١٨ رسولاً الآية الكريمة: **﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه، نرفعُ درجات من نشاءُ، إنَّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ. ووهبنا له اسحٰقَ ويعقوب، كلا هدَيْنا، ونوحاً هديْنا من قبل، ومن ذرِّيَّته داود، وسليمانَ، وأيوبَ، ويوسفَ، وموسى، وهارون، وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى، وعيسى، وإلياسَ، كلٌّ من الصَّالحين وإسماعيل، واليَسَعَ، ويونُس، ولوطاً، وكلاً فضَّلْنا على العالمين. ومن آبائهمْ، وذرِّياتهمْ واخوانهم، واجْتبيْناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم﴾** [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٧] وقد جمعت أسماء بقية الرسل في بيتين من الشعر:

في تلكَ حجَّتُنا منهم ثمانيةٌ من بعد عشرٍ، ويبقى سبعةٌ وهُموا

إدريسٌ، هودٌ، شعيبٌ، صالحٌ وكذا ذو الكفل، آدمٌ، بالمختار قد ختموا

سؤال: ما الحكمة في إظهار المعجزة على أيدي الأنبياء؟

الجواب: الحكمة في إظهار المعجزة على أيدي الأنبياء الدلالة على صدقهم فيما آدَّعوه[1]: إذ كلُّ دَعْوَى لم تقترن بدليلٍ فهي غيرُ مَسْموعة، والتمييز بينهمْ وبين من يدَّعي النبوّة كاذباً وهي قائمة مقام قولِ الله تعالى ﴿صدَق عبدي فيما يدعي﴾[2].

سؤال: ما وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء، وكونها قائمة مقام قول الله تعالى: «صدق عبدي»؟

الجواب: وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء يظهر من هذا المثال ـ ولله المثل الأعلى ـ وهو أنه لو قامَ أحدٌ من الناس في محفل عظيم بمحضر ملك كبير حكيمٍ وقال: أيها الناس: إني رسول هذا الملك إليكم. ومؤتَمَنُه لديكم. أرسلني لأبلغكم أوامرَه، وهو عالمٌ بمقالتي وسامعٌ لكلامي ومُبصرٌ لي. وآية صدْقي أن أطلب منه أن يخرقَ عادَتهُ ويخالفَها فيُجيبُني إلى ذَلكَ ثم قال للملك إن كنتُ صادقاً في دعوايَ فاخرقْ عادتكَ وقُم ثلاث مرات متوالياتٍ. ففعل الملك ذلك. فإنهُ يحصلُ للجماعة علمٌ ضروري بصدقه في مقالته، وقامَ خرْقُ الملك لعادته مقام قول الملك قد صدقَ فيم ادَّعاه ولم يشكَّ أحد أنه رسولُ الملك. والأنبياء عليهمُ السلام قد ادعوا إرسالَ الله تعالى لهم للبشر، وهو عالمٌ بدعواهم. سامعٌ لهم. ناظر إليهم. فإذا طلبوا من الله تعالى إظهارَ المعجزات التي ليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثلها فأعلنهم على ذلك وأقدرَهم عليها كان ذلك تصديقاً لهم منه فعلاً وهو كالتصديقِ بالقولِ بل أولى. وهو يستلزم صدقهم في دَعوى الرسالة لأن تصديق المولى الحكيم العليمِ القادر للكاذب أمرٌ ظاهرُ الاستحالة. لا سيما. وقد انضمَّ إلى دلالة المعجزات على

(١) «ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحي إليَّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

(٢) حديث قدسي.

صـدقهم دلالة مـا اشتهـر عنهم من الصفـات والأحـوال. التي هي في غـايـةِ الحسْنِ ونهايةِ الكمال[1].

سؤال: ما الفرق بين المعجزة والسحر؟

الجواب: السحر أمرٌ خارقٌ للعادة في بادىء الرأي تمكن معارضتهُ لأنـه مبنيٌّ على أسباب من عرفها وتعاطاها حصلَ عـلى يده ذلـكَ الأمرُ. فهـو في الحقيقة ونفس الأمر غيرُ خـارقٍ للعادة وغـرابتُه إنمـا هي بالنـظر لجهل أسبـابه. وأمـا المعجزة فإنها خـارقةٌ للعـادة حقيقة لا يمكن معـارضتُها فـلا يمكن السـاحـر أن يفعلَ مثلَ ما فعل الأنبياء من جعلِ الميِّتِ حيّاً. وقلبِ العصا حيَّة ولذا آمنت سَحَـرةُ فرعـونَ بموسى عليـه السلامُ لمـا صارت عصـاهُ حيَّة حقيقيـة وابتلعتْ عِصِيَّهُمْ وحبـالَهم لمعرفتهم بـأن هذا ممـا لا يأْتي بالسحـر والسحر مصـدره من نفسٍ أمّارة بالسـوءِ تكونُ مـظهراً للفسـاد والمعجزةُ مصـدرها من نفس زكيَّـة تكون مظهراً للصلاح والارشاد[1]

سؤال: ما الفرق بين المعجزة والكرامة؟

الجواب: الكرامة: أمرٌ خارقٌ للعادة يظهـرُ على يـد الوَليّ فهي غـيرُ مقرونـةٍ بدعوى النُّبُوَّةِ وأما المعجزة فإنها تكون مقرونة بدعوى النُّبُوَّة.

والـوليُّ هو العـارفُ بالله تعـالى وصفاتـه حسب ما يمكنُ المـواظبُ على الطاعاتِ، المجتنبُ للمعـاصي والسيئاتِ، والمُعْـرِض عن الانهماكِ في اللذاتِ والشهوات، وظهورُ الكرامةِ على يدهِ إكرامٌ له من ربـه، وإشارةٌ لقبـوله عنـدهُ وقُرْبه، وهي كـالمعجزة للنبي الـذي يكون من أمتـه ذلك الـولّي، إذ الولّي لا

---

(١) انظر قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَامُوسَىٰ إِمَّـا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُـونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٥ قَالَ بَـلْ أَلْقُواْ فَـإِذَا حِبَـالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّـلُ إِلَيْـهِ مِن سِحْـرِهِمْ أَنَّهَـا تَسْعَىٰ ٦٦ فَـأَوْجَسَ فِي نَفْسِـهِ خِيفَـةً مُّوسَىٰ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ٤ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُـواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٥ ـ ٦٨].

يكون ولياً حتى يكون مُقراً برسالة رسوله ومُذعناً لأوامره غاية الإذعان[1] ولو ادَّعىٰ الاستقلالَ بنفسه ولم يتابعْ رسولَهُ لم تظهرْ على يديهِ الكرامةُ ولم يكنْ ولياً للرحمـٰن، بل يكون عدوّاً له ولياً للشيطانِ. كما يشيرُ لذلكَ قوله تعالى خطاباً لنبينا عليه الصلاة والسلام في حق أقوام زعموا أنهم يحبونَ اللهَ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

(١) لا شك أن الله عز وجل يكرم بعض عباده بالمال والبنين، وآخرين بالقوة وآخرين بالعقل والذكاء، فليس بمستبعد أن يكرم آخرين بإظهار بعض خوارق العادات على أيديهم، انظر قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيءٍ عليم﴾ [البقرة: ٢٨٢] وانظر قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧] فلا شك أن الإكرام بما جاءت به الآيات من العلمِ والرزقِ والفرجِ والنصرِ هو أعظم من الإكرام بالمشي فوق الماء أو بطي المسافات بالخطى، لأن الأسماك والطيور تقوم بما هو أصعب من ذلك. ولعل أعظم كرامة هي كرامة الإيمان نسأل الله أن يثبتنا عليه. جاء في القرآن الكريم دلائل كثيرة على أن للأولياء كرامات منها:

١ ـ مريم ـ عليها السلام ـ قال اللّه تعالى عنها: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً﴾ [مريم: ٢٥].

٢ ـ أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهيِّء لَنَا مِنْ أَمْرنَا رَشَداً ١٠ فَضَرَبْنَا على ءَاذَانِهم في الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوآ أَمَداً﴾ [الكهف: ١٠ ـ ١٢].

٣ ـ رجل عنده علم من الكتاب، قال تعالى: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هـذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

٤ ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد برأها الله عز وجل في آيات تتلىٰ إلى يوم القيامة.

لَا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾[1].

سؤال: ماذا يجب للأنبياء عليهم السلام؟

الجواب: يجبُ للأنبياء عليهمُ الصلاةُ والسلامُ أرْبعُ صفاتٍ وهي: الصدق[2]، والأمانةُ[3]، والتبليغ[4]، والفطَانة[5]، ومعنى الصدق في حَقِّهم كونُ خبرهم مطابقاً للواقعِ ونفسِ الأمرِ فلا يصدرُ منهم كذب أصلاً.

ومعنى الأمانة[3] في حقهم كون ظواهرِهم وبواطنهم محفوظةً من الوقوعِ فيما لا يرضي الحق، الذي اصطفاهم على سائر الخلق.

ومعنى التبليغ[4] كونهم بيَّنوا للناس كلَّ ما أمرَهم اللهُ ببيانه أحسنَ بيانٍ فلم يكتمُوا من ذلك شيئاً.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿حَقِيْقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُوْلَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُوْلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوْا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاْتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْماً حَكِيْماً﴾ [النساء: ١٧٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيْلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِيْنِ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿... قُلْ مَا يَكُوْنُ لِيْ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِيْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

(٣) ودليله قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٤) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصىٰ كل شيء عددا﴾ [الجن: ٢٨].

ومعنى الفطانةِ [1] كونهم أكملَ الخلقِ في النّباهة والفهمِ.

الجواب: ماذا يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

سؤال: يستحيلُ على الأنبياء عليهمُ الصلاةُ والسلامُ أربعُ صفاتٍ. وهي الكذبُ[2]، والعِصْيانُ، والكتمان، والغفلةُ وكذلك يستحيلُ عليهم كلُّ صفةٍ تُعَدُّ عندَ النَّاسِ من العيوبِ وإنْ لم تكن من الذنوب، كدناءة الحرفة، أو النسب، أو تُنافي حكمةَ البِعْثةِ، كالصَّمَمِ والبَكَمِ.

سؤال: إذا كان العصيان مستحيلاً في حق الأنبياء عليهم السلام فكيف أكل آدم من الشجرةِ التي نُهي عنها؟

الجواب: بطريق النسيان. قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فنسي ولم نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾**[3] والناسي غيرُ عاص ولا مؤاخذ. وأما نسبةُ العصيان إليه في قوله تعالى: **﴿وعصَى آدَمُ ربَّه فغَوى. ثم اجْتَبَاهُ رَبُّه فَتَابَ عَليه وهَدَى﴾**[4] فَلِصُدُورِ صورة المخالفة عنه بناء على النسيَان الناشىء عن عدم التحفظ التام منه. والمخالفةُ التي تَصْدُرُ نسياناً، لا تُعَدُّ في حقِّ الناسي عصياناً وَعُدَّتْ معصيةً في حَقِّ آدمَ نظراً لشرفِ رُتبته، وعِظَم منزلته والخطأ الصغيرُ يُستعظمُ من الكبيرِ.

وَأمَّا مؤاخذة المولى سبحانه وتعالى لآدم على ذلك بإهباطهِ إلى هذه

---

(١) دليله قول الله تعالىٰ: **﴿وجاد لهم بالتي هي أحسن﴾** [النحل: ١٢٥] وقوله تعالىٰ: **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾** [طه: ١١٤]، وقوله تعالىٰ: **﴿قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾** [هود: ٣٢]، فالتعجيل بترديد آيات القرآن وعدم النسيان، والمجادلة أشياء تحتاج إلى فطانةٍ كبيرة، ونباهة زائدة، وفهم عميق.

(٢) دليله قوله تعالىٰ: **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾** [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

(٣) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢١.

الديار واعتراف آدم بالذَنْبِ، ومثابرتُه على الاستغفارِ، فذلك لتزدادَ درجتهُ علوّاً، وثوابُهُ وأجْرُه نموّاً. ويقاسُ على ذلك ما يُنسب لسائر الأنبياء من الذنوب والمعاصي، فإنها ذنوبٌ بالإضافةِ إلى علوِّ مناصبهم، ومعاصٍ بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوبِ غيرهم ومعاصيهم، لأنها صادرة منهم عليهم السلام إما على طريق التأوُّل، أوْ على طريقِ السَّهْوِ وعدم التَّعَمُّدِ.

وأما اعترافهم بها واستغفارُهم منها فلزيادة معرفتهم بمولاهم وشدَّة ورَعهم وتقواهم، ولِيَزْدَادوا أجْراً وقُرْبَةً وعلوّاً في الدرجةِ والرُّتْبَة.

سؤال: **ماذا يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام؟**

الجواب: يجوز على الأنبياء عليهم السلام وُقُوع الأعراضِ البشرية، التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، كالأكل والشربِ، والجوعِ، والعطشِ، واعتراء الحر والبرد، والتعب والراحة والمرضِ والصحَّةِ ومثلُ ذلك التجارة والاحترافُ بِحرْفةِ من الحرف التي ليست دَنِيَّةً لأنهم بشر يجوزُ عليهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدِّي إلى نقص(١).

سؤال: **ما الحكمة في لحوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟**

الجواب: الحكمة في لحوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهمُ الصلاة والسلامُ مع كونهم خيرَ البريّة. وكون ساحتهم من العيوب بَرِيَّةً أن يعظُم أجرُهم ويظهرَ في طاعة الله تعالى ثباتُهم وصبرُهم. ولأجل أن تتأسى بهمُ الناسُ، إذا حلَّ بهم البلاءُ والبأسُ. ويعلموا أنَّ الدنيا دارُ بلاء وامتحانٍ، لا دارُ إكرام

---

(١) دليله قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِهَذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [الأنبياء: ٨].

وإحسان. ولئلا يعتقدَ الألوهيّة أحد فيهم إذا رأى المعجزات الباهرةَ تَظْهَرُ على أيديهم ويعلم أن ذلك بإرادة الله تعالى وخلقه ليس غير، وأنهم وإنْ عظُمَ قدرُهم وجلَّ أمرهم فهم عبيدٌ عاجزون عن جَلْبِ النفع ودفع الضرر.

سؤال: **ما خلاصة ما يجب أن نعتقد في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟**

الجواب: نعتقد أنَّ الأنبياء عليهمُ الصلاةُ والسلامُ مَوْصُوفونَ بكلِّ صفة تزين. ومُبرَّأُون في الظاهر والباطن والفعل والقول عن كل أمر يشين. وأنهم يجوز أن تطرأ عليهم الأعراض البشريةُ التي لا تؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العلية. وأن الله اصطفاهم على العالمين وأرسلَهم إليهم ليكونوا بأوامره وأحكامه عالمين. وأنهم لم يختلفوا في أمر الدين لكونه أصلاً لتعلُّقه بالاعتقاد الذي لا يقبلُ التعدُّدَ والتَّحَوُّل أصلاً وإنما اختلفوا في بعض أحكامِ الشريعةِ لكونها فرعاً، لتعلُّقهابالعمل الذي توجب الحكمةُ اختلافه باختلاف الأمم زماناً ومكاناً وحالاً وطبعاً.

سؤال: **كم صفة امتاز بها نبينا ﷺ عن سائر الأنبياء؟**

الجواب: امتاز نبُّينا عليه الصلاةُ والسلامُ عن سائر الأنبياء بثلاث صفات[1]: الأولى أنه أفضَلُ الأنبياء[2]، الثانية أنه أرسلَ إلى الناسِ كافة،

(١) الواقع أن نص حديث رسول الله ﷺ يؤكد أنه امتاز بأكثر مما ذكر المؤلف، ففي الحديث المتفق عليه: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي:

١ ـ كان كل نبي يُبعثُ في قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود.

٢ ـ وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي.

٣ ـ وجعلت لي الأرض طيبةً طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلىٰ حيث كان.

٤ ـ ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر.

٥ ـ وأعطيت الشفاعة. (البخاري في التيمم وفي المساجد باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وفي الجهاد: باب قوله أحلت لكم الغنائم، ومسلم أول كتاب المساجد برقم ٥٢١. وفي الصحيح البخاري في الاعتصام و رتيت جوامع=

الثالثة أنه خاتمُ الأنبياء فلا يأتي بعده نبيٌّ.

سؤال: لمَ كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء؟

الجواب: إنما كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتمَ الأنبياء لأن حكمة إرسال الأنبياءِ دعوةُ الخلق، إلى عبادةِ الحقِّ، وإرشادُهم إلى طريق السَّداد في أمور المعاش والمَعاد. وإعلامُهمُ بالأمور الغائبة عن أبصارهم. والأحوال التي لا

= الكلم)، وفي صحيح مسلم في الفضائل: وأول من ينشق عنه القبر.

(٢) دليله الحديث الشريف الذي رواه الترمذي بسند حسن: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي، آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفَّع، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيدخلنيها الله ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على زي ولا فخر» وانظر الدارمي ١/٢٦ المقدمة.

فائدة: وقد صح عن رسول الله ﷺ برواية أبي سعيد الخدري: «لا تخيِّروا بين الأنبياء». [البخاري ٥/٥٢ في الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص] وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله» البخاري ٥/٥٢ وليس معنى النهي عن التخيير أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله عز وجل قد أخبرنا أنه فضل بعضهم على بعض، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ [البقرة: ٢٥٣] بل معناه ترك التخيير على وجه الازدراء ببعضهم، والإخلال بالواجب من حقوقهم، فإنه يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعضهم، وذلك كفرٌ.

فإن قيل: قد رُوي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله، ولا أقول: إنّ أحداً أفضل من يونس بن متى» [البخاري في الأنبياء: باب قول الله تعالى ﴿وإن يونس..﴾ ومسلم برقم (٢٣٧٣). وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى» أخرجه البخاري في الأنبياء، ومسلم برقم (٢٣٧٧)، فكيف وجه الجمع بين هذا وبين قوله عليه السلام: «أنا سيدُ ولدِ آدم».

قيل: التوفيق بين الحديثين واضحٌ، وذلك أن قوله: «أنا سيد ولد آدم» إنما هو إخبارٌ عما أكرمه الله به من الفضل والسؤدد، وتحديث بنعمة الله عليه، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ [الضحىٰ: ١١]. وإعلامٌ لأمته وأهل دعوته علو مكانه عند ربه، وكان بيان ذلك للأمة من اللازم المفروض عليه، ليكون إيمانهم به على حسب ذلك (البغوي: شرح السنة ١٣/٢٠٤، ٢٠٥).

يصلون إليها بأفكارهم وتقريرُ الأدلة القاطعةِ وإزالة الشُبَه الباطلة. وقد تكفَّلت شريعتُه الغرَّاء ببيان جميع هذه الأشياء على وَجْه لا يتصوَّر أبلغ منه في الكمال، بحيث توافق جميعَ الأمم في جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلا حاجةً للخلق إلى نبي بعده، لأن الكمالَ قد بلغ حَدَّه. ومن هذا يظهرُ سر إرساله لجميع الخلق وكونه أكملَهم في الخَلق والخُلق.

سؤال: كيف يقال إن نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء مع أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان؟

الجواب: إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ويحكم بشريعةِ نبيِّنا عليه السلام دون شريعته. لأن شريعتَه هو قد نُسِخَتْ لمضي الوقتِ الذي كان العملُ بها موافقاً لمقتضى الحكمة فيكون كخليفةٍ لنبينا عليه السلام، ونائباً عنه في إجراء شريعته في هذه الأمة، وذلك مما يؤكد كونَ نبينا خاتم الأنبياء.

سؤال: اذكر لي معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام.

الجواب: إن معجزات نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كثيرة: فمن معجزاته القرآن الكريم، وهو أعظم آياته وأكبرها، وأبْهاها وأبْهرها، وقد سبق ذكر وجه إعجازه وأنه آية باقية دائماً لكون من أتى بها للأنبياء خاتماً.

ومن معجزاته نبع الماء من بين أصابعه في حال السفر حين اشتدَّ العطش بأصحابه الكرام ولم يكن إلاَّ ماء قليل، فوضع كفَّه الكريمةَ فيه فكثُرَ حتى قَضَى الحاضرون أوطارَهم منه وزاد عليهم[1]. وهذا وقع مراراً.

---

(١) في الحديث المتفق عليه «عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبيّة ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة [إناء للماء من الجلد] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة».

ومن معجزاته تكثير الطعام القليل حتى كفى أناساً كثيرين. وهذا وقع أيضاً مراراً. إلى غير ذلك مما ذكر في كتب[1] «دلائل النبوّة».

سؤال: كيف كانت سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام؟

الجواب: قد وقع الإجماع والاتفاق على أن سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام أحسن السير على الإطلاق، وقد أقر بحسنها الكفار، وكيف لا وهي كالشمس في رابعة النهارِ. وقد ذكر أهل السِّيرَ أنه عليه الصلاة والسلام كان أشرَف الناس نسباً وأعلاهم حَسَباً. يصل الرَّحِمَ ويغيث المضطرَّ، كثير التحمل والإغضاء والصبر. دأبُه العَفْو والصفح والرأفة والرِّفق. لا ينتقم إلَّا فيما فيه حقٌّ الحقِّ أو حقُّ الخلق. وكان كثير السكوت لتفكُّره في أسرار الملكوت وإذا تكلمَ أتى بجوامع الكلم وهي الكلمات القليلة التي تتضمَّن معاني كثيرةً من باهرِ الحكم وكان أفصحَ الناس بياناً يمزَح بعض الأحيان ولا يقول في مزحه إلا حقّاً، وكان واثقاً بعصمة الله له في كلِّ حال، يقْدِم حين تحجم الأبطال، ويثْبت على حاله لَدَى جميع الأهوال، وكان شديدَ التواضع، وكان مع تواضعه وبشاشته ذا هَيْبَةٍ لم تكن لغيره من البشر، حتى لم يكن أحد من أصحابه يؤكد في وجهه الكريم النظر وكانوا في مجلسه في غاية الأدب كأنما على رؤوسهم الطير. لا يَقْطع أحدٌ منهم كلامَ أحد. ولا تذكر في مجلسه العُيوبُ. وكان المشركون من صباهُ يلَقِّبونه بالأمين بعد ادعائه النبوةَ لم يجدْ أعداؤه مع شدةِ عداوتهم له وحِرْصهم على الطعن فيه مَطْعناً، ولا إلى القَدْح فيه سبيلاً، وكان يُعَلِّمُ الناسَ الحكمةَ والأحكام، ويَدْعوهُمْ إلى دار السلام، وقد كمل من اتَّبعهُ في الفضائل العلميةِ والعملية، ومن لم يَتَّبِعه سَرَى له شيءٌ

---

(١) ذكر كلمة (كتب) بالجمع لأن هنالك عشرات الكتب تحت اسم «دلائل النبوة» وقد أعانني الله تعالىٰ على تحقيق أحدهما وهو لأبي نعيم صاحب كتاب «الحلية»

من ذلك بطريق العَرض والتبعية.

وقد أظهر الله دينه على سائر الأديان وأبقىٰ ذكرَه الجميلَ على لسان مُوافقيه ومخالفيه مَدى الزمان، ومَنْ طالع كتب سيرتهِ المشتملة على أخلاقهِ العظيمة الباهرة عرفَ أنه أشرفُ العالمينَ في الأوصافِ الباطنة والظاهرة ﷺ.

* * *

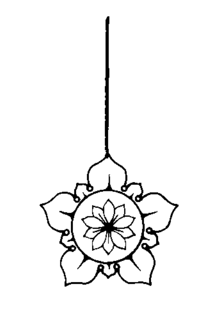

المبحث الخامس
في الإيمان باليوم الآخر

سؤال : ما اليوم الآخر، وما معنى الإيمان به؟

الجواب : أما اليومُ الآخرُ، فهوَ يومٌ عظيمُ الأهوال، تَشيبُ فيه الأطفال. تقومُ النـاسُ فيه من قبـورهم، ويحشـرون إلى صعيـد واحـدٍ للحسـاب، ثم يؤول أمرُهم إلى النعيم أو العذاب(١).

وأما الإيمانُ به فهو التصديقُ بأنه لا بُدَّ أن يأتي(٢) وأنْ يظهَر فيه جميعُ ما وَرَد في القرآن والحديث في شأنه.

---

(١) انظر قول الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَاهُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيْدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيْهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ﴾ [الحج: ٦ - ٧] وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُوْنَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقوله جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] وقوله جل وعلا: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَىً. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

(٢) دليله قوله الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيْ نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُوْلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيْداً﴾ [النساء: ١٣٦].

سؤال: ماذا تعتقد في اليوم الآخر وما يتعلق به؟

الجواب: أعتقد أولاً بسؤال القبرِ، ثم بنعيمهِ أو عذابهِ[1]، ثم بحشرِ

---

(١) أفردت كتب الحديث فصلاً خاصاً بهذا الموضوع ونراه تحت عناوين شتى، مرة باسم: كتاب القيامة ومرة باسم كتاب القبر، وغير ذلك، وقد أكثر الرسول عليه الصلاة والسلام من التعوذ من عذاب القبر وخاصة ما نعرفه من أدعية الصلاة قبل التسليم، وأورد حديثاً جامعاً فيه الدليل والعظة والعبرة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً، ثم قال:

إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، [الأنعام: ٦١] ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني ـ بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، [المطففين: ١٩ ـ ٢١] فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيُرَد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه =

فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في إطاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت، الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له أسكن، قال:

وإن العبد الكافر وفي رواية: الفاجر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ، حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده،

الأجساد، وأنَّ الخلقَ كما بدىء يُعاد، ثم بالحساب والميزان[1] ثم بإعطاء الكتاب إما باليمينِ وإما بالشمال[2]، ثم بالصراطِ[3] ثم بدخولِ المؤمنينَ الجنَّةَ دار النعيم. ودخول الكافرين جهنمَ دارَ العذاب الأليم.

= قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولّوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لادريت، ولا تلوت، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه وفي رواية: ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول وأنت فبشرك الله بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله، فجزاك الله شراً، ثم يقيض له أعمىٰ أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة». (أخرجه أبو داود ٢/٢٨١، والحاكم ١/٣٧ - ٤٠، والإمام أحمد ٤/٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦، والنسائي ١/٢٨٢، ابن ماجه ١/٤٦٩ - ٤٧٠)، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي نقلته من كتاب شيخنا الألباني «أحكام الجنائز ١٥٦ - ١٥٩».

(١) بدليل قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾، [الأنبياء: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، [الأعراف: ٨، ٩].

(٢) انظر قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ. فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. ياليتها كانت القاضية﴾[الحاقة: ١٨ - ٢٧].

(٣) انظر قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ =

سؤال : كيف اعتقادك بسؤال القبر ثم نعيمه أو عذابه؟

الجواب أعتقد أن الميتَ إذا وضعَ في قبره تُعَادُ رُوحهُ إلى جسده بقدْرِ ما يَفْهَمُ الخطابَ، ويرد الجوابَ ثم يأتيه مَلَكانِ فَيَسْألانه عن ربه ونبيه. وعن دينه الذي كان عليه، وعن الفرائض التي كان أمَرَه الله تعالى بأدائها: فإن كان الميت من الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أجاب عن السؤال بتوفيق الله تعالى أحسنَ جَواب، من غير خوفٍ منهما ولا اضطراب، فيكْشفُ اللَّهُ عن بصره، ويفتحُ له باباً من أبوابِ الجنة، فيحظى بالنعيم العظيم، ويقال له: هذا جزاء من كان في دنياه على الصراط المستقيم.

وان كان الميتُ كافراً أو منافقاً يدْهشُ ولا يدري ما يقولُ في الجواب، فيعذِّبانه حينئذ أشدَّ العذاب[1]. ويُكشَفُ عن بصره، فيُفتحُ له باب من أبواب جهنم. وتنوَّع له أنواعُ العذاب والألم ويقولان له هذا جزاءُ من كفر بمولاه واتبع نفسه وهواه.

سؤال : إذا أكل السبع إنساناً وصار في بطنه، أو وقع في البحر فأكلته الأسماك، فهل يسأل أو يعذب أو ينعم؟

الجواب: نعم كلُّ من مات يُسأل ثم يعذب أو ينعم، ولا فرقَ بين من دُفِنُ في القبر، أو صار في بطن السبُع أو في قعْر البحر، فالله على كل شيء قدير. وبكل شيءٍ عليمٌ خبيرٌ[2].

= ﴿وَيَهْدِيْهِمْ إِلَيْهِ صِرَاْطاً مُسْتَقِيماً﴾ [النساء: ١٧٥].

(١) بدليل قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَمْا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُوْمُ ٱلسَّاْعَةُ أَدْخِلُوْاْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَاْبِ﴾ [غافر: ٤٦]. وانظر الحديث الشريف ص: هامش.

(٢) بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَاْلَ وَتَرَىٰ ٱلْأَرْضَ بَاْرِزَةً وَحَشَرْنَاْهُمْ فَلَمْ نُغَاْدِرْ مِنْهُمْ أَحَدَاً﴾ [الكهف: ٤٧].

سؤال: إذا كان الميت تعاد إليه روحه، ويسأل ثم يعذب أو ينعم فلأي شيء لا ترى الناس شيئاً من ذلك؟

الجواب: إن الله يَحْجبُ أبصارهم عن ذلك امتحاناً لهم ليظْهِرَ من يؤمن بالغيب، ومن لا يؤمن به من ذوي الشكِّ والرَّيْبِ ولو رأى الناسُ ذلك لآمنوا كلهم، ولم يصِرْ فرقٌ بين الناس ولم يتميز الخبيث من الطيبِ والرديءُ منَ الجيدِ[1].

سؤال: هل لهذه المسألة مثال يقربها للذهن؟

الجواب: نعم: مثالُ ذلك النائم الذي يرى في مَنامه أشياء يسَرُّ بها ويتنعم. أو أشياء يحزنُ بها ويتألم، والذي يكونُ قاعداً لجنبه مشاهداً له لا يدري بذلك، ولا يشعر بما هنالك. وكذلك الميت يسأل في قبره ويجيبُ ويتنعم أو يتألَّم، ولا يدري به أحدٌ من الأحياء ولا يعلم.

سؤال: كيف الاعتقاد بحشر الأجساد. وأن الخلق كما بدىء يعاد؟

الجواب: هو أن نعتقد أن الناسَ بعد موتهم جميعاً يُنشِئهمُ الله نشأة أخرى تشاكل النشأة الأولى، فيقومون من قبورهم ويحشرون إلى محلٍّ واحد يسمَّى الموقفَ.

سؤال: كيف اعتقادك بالحساب؟

الجواب: أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يجْمعَ الناس إلى المحشر يحاسب كل واحد ويقرُره على ما فعل من خيرٍ أو شر وتشهدُ على الجاحدين جوارحُهُمْ وتظهرَ للكل فضائحهم[2]. وتقومَ عليهم الحجة، ولا يبقى لهم

---

(١) انظر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَملاً وَهُوَ ٱلْعَزِيْزُ ٱلْغَفُوْرُ﴾ [تبارك: ٢].

(٢) انظر قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْدَاً﴾ [مريم: ٩٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُم وَأَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُوْنَ﴾ [النور: ٢٤].

العذْرُ من محجة﴿فمَنْ يَعمل مثقال ذرَّةٍ خيراً يرهُ ومن يعمـلْ مِثقال ذرَّةٍ شـرّاً يَرَه﴾.

سؤال: **كيف اعتقادك بالميزان وإعطاء الكتب؟**

الجواب: أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يحاسبَ الناس ويقرّرهم على أفعالهم توزَنْ أعمالهم لينكشفَ لكلٍّ واحد مقدار عمله، فمن رجح خيره على شره أعطي كتابه بيمينه وفاز فـوزاً عظيـماً. ومن رجح شـرُّه على خيـره أُعطي كتابه بشماله وخسِرَ خسرَاناً مبيناً.

س: **كيف اعتقادك بالصراط؟**

الجواب: الصراط جسرٌ ممدود على ظهر جهنم ليمر الناس عليـه فتثبت عليه أقدام المؤمنين الطائعين ويمـرون عليه إلى الجنـة فمنهم من يمر عليـه كالبـرق، ومنهم من يمـر عليه كـالجواد ومنهم من يكـون بطيء السـير عليه، وتـزلُّ عنه أقدام الكافرين والعصاة من المؤمنـين فيقعون في النـارِ، ولا يستغرب أن يَيَسِّر السير عليه للسعداء. من يسيِّر الطير في الهواء.

سؤال: **هل يشفع أحد ذلك اليوم؟**

الجواب: يشفع الأنبياء(١) والأولياء والعلماء العاملونَ(٢) والشهداء(٣).

سؤال: **فيمن يشفع من أذن له بالشفاعة؟**

الجواب: يشفعون في بعض المؤمنينَ العاصين(٥).

---

(١) ثبتت الشفـاعة بقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ ذا ٱلَّذِي يَشْفَـعُ عِنْدَهُ إلَّا بِـإذْنِهِ﴾ [البقـرة: ٢٥٥] وشفاعـة الرسول ﷺ بقوله: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامـة» [مسلم في الإيمان ٣٦٠] وقـوله ﷺ: «مسألتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» [مسند أحمد ٥/٣٢٦].

(٢) انظر قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [مسند الإمام أحمد ٣/٢١٣ والترمـذي في القيامة ١١ وابن ماجه في الزهد ٣٧].

سؤال: **هل يشفع أحد في أحد الكفار؟**

الجواب: لا يستطيع أحدٌ من الأنبياء ـ فضلاً عن غيرهم ـ أن يخاطبَ الله تعالى في أحدٍ من الكفَّار، لعلمهم بأنّ كلمة العذابِ قد حقّتْ عليهم وأن الله سبحانه لا يأذن بذلك قالَ جلَّ شأنُه ﴿**مَنْ ذا الذي يشفعُ عندَه إلا بإذنِه**﴾[1]وقال تعالى ﴿**يومئذ لا تنْفع الشفاعَة إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحمنُ وَرَضِيَ لهُ قولاً**﴾[2].

سؤال: **ما الكوثر الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأشار إليه بقوله عز شأنه «إنا أعطيناك الكوثر»**[3].

الجواب: الكوثر نهرٌ في الجنة ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، من شربَ من مائه شَرْبة لا يعطش بعدها أبداً[4].

سؤال: **ما حكم المؤمن الطائع بعد الحساب؟**

الجواب: حكم المؤمن الطائعِ بعد الحسابِ، دخول الجنةِ خالداً أبداً في نعيمها المستطابِ.

سؤال: **ما حكم الكافر أو المنافق بعد الحساب؟**

الجواب: حكم الكافرِ أو المنافقِ بعد الحساب، دخولُ النار خالداً فيها أبداً لا يفتر عنه الألم والعذاب.

سؤال: **ما حكم المؤمن العاصي بعد الحساب؟**

الجواب: حكم المؤمن العاصي بعد الحساب ـ إن غفرَ الله له أن يَدْخل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة طه: الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الكوثر: الآية: ١.

(٤) بدليل قوله ﷺ: «حَوضي مَسيرةُ شهرٍ وزواياه سَواءٌ ماؤُهُ أبيضُ مِنَ اللَّبنِ، ورِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ=

الجنة من أول الأمر خالداً فيها أبداً ـ وإن لم يغفرْ له أن يعـذّبَ في النار مُـدَّةً على مقدار ذنبِهِ، ثم يخرج منها ويدخُل الجنة خالداً فيها أبداً.

سؤال: ما الجنة؟

الجواب: هي دار النعيم المقيم، دارٌ فيهـا ما تشتهيـه الأنفُسُ وتلذ الأعـين. دارٌ فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خَطرَ على قلبِ بَشرَ.

سؤال: ما جهنم؟

الجواب: هي دار العـذابِ المقيم. دارٌ فيها جميـع أنواع الآلام التي لا تخـطر على الافهام.

= المسك وكيزانُهُ كنجومِ السماءِ، مَنْ شربَ منها فلا يظمأُ أبداً» (كيزانه: آنيته) [البخاري في الحوض. ومسلم في الفضائل باب اثبات حوض نبينا ﷺ].

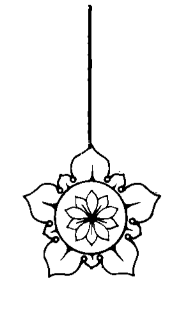

المبحث السادس
في الإيمان بالقضاء القدر

سؤال: ما الاعتقاد بالقضاء والقدر؟

الجواب: هو أن نعتقدَ أن جميع أفعال العباد ـ سواءٌ كانتْ اختيارية مثل القيامِ والقُعودِ والأكل والشرب، أو اضطرارية مثلَ الوقوع ـ كائنةٌ بإرادةِ اللهِ تعالى وتقديره لها في الأزل وعلْمِهِ بها قبلَ وقتها.

سؤال: إذا كان الله تعالى هو الخالق لجميع أفعال العبد أفلا يكون العبد حينئذ مجبوراً في جميع أفعاله، والمجبور لا يستحق الثواب والعقاب؟

الجواب: كلا لا يكونُ العبد مجبوراً لأن له إرادة جُزْئيةً يَقْدِرَ على صرْفها إلى جانب الخير وإلى جانب الشر، له عقْل يميز به بَيْنهما. فإذا صرفَ إرادتهُ إلى الخير ظهرَ ذلك الخير الذي أراده، وأُثيبَ عليه لظهوره على يده، وتعلُّق إرادته الجزئية به، وإن صرفها إلى جانب الشرّ ظهر ذلك الشرُّ وعُوقب عليه لظهوره على يده، وتعَلُّق إرادته الجزئية به.

سؤال: اذكر مثالاً قريباً للذهن يوضح لي أن العبد ليس بمجبور على أفعاله؟

الجواب: كل إنسان يمكنه أن يعْرف بأنه ليس بمجبور على جميع أفعاله، وذلك لتمييزهِ بين تحرُّك يده وقتَ الكتابةِ، وبين تحرُّك يده وقتَ الارتعاش مثلاً فإن تحرك يده حال الكتابة يَنسُبه لنفسه فيقولُ: كتبتُ باختياري وبإرادتي وأما تحرُّكُ يده من الارتعاش فلا ينْسبه لنفسه ولا يقول أنا حركت يدي، بل

يقولُ: إن ذلك وقع بغير اختياري.

سؤال: ماذا يستفاد من هذا المثال؟

الجواب: يستفاد منه أن كلَّ إنسان يُدْرِكُ بأدنى مُلاحظة أنَّ أفعاله قسْمان: قسمٌ يكون باختياره وإرادتِه مثل أكله وشرْبه وضَرْبه لزيْدٍ ونحو ذلك، وقسْمُ يكون بغير اختياره مثل وقوعِه.

سؤال: أي شيء يترتب على أفعال العبد إذا كانت اختيارية؟

الجواب: أفعال العبد الاختيارية إذا كانت خيراً يترتَّبُ عليها الثواب، وإن كانت شراً يترتب عليها العقاب. وأما أفعاله الاضطرارية فلا يترتَّب عليها شيءُ من ذلك.

سؤال: إذا ضرب إنسان غيره ظلماً وعدواناً أو فعل نحو ذلك من أنواع الشر والمعاصي، ثم اعتذر بكون ذلك مقدراً عليه، فهل يقبل منه ذلك الاعتذار؟

الجواب: إنه لا يُقبل من العبد الاعتذار بالقدر لا عند الله سبحانه وتعالى ولا عندَ الخلق، لوجود الارادةِ الجزئية له والقدرةِ والاختيار والعقل.

سؤال: اذكر لي خلاصة هذا المبحث؟

الجواب: إنه يجب على كل إنسان مكلف أن يَعتقدَ ويجزم بأنَّ جميع أفعالِهِ وأقوالِهِ وجميعَ حركاتِهِ. سواءٌ كانتْ خيراً أو شَرّاً. هي واقعةٌ بإرادة الله وتقديرِهِ وعِلْمِه، لكن الخيرَ برضاه والشرَّ ليس برضاه، وأنَّ لِلعبْدِ إرَادَةً جُزئيةً في أفعاله الاختياريَّة. وأنه يُثابُ على الخيرِ ويُعاقب على الشرّ وأنه ليْس له عذرٌ في فِعلِه الشرَّ، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد.

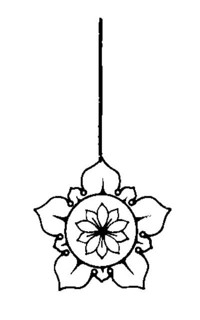

الخاتمة في مسائل مهمة
«تتبع ما سلف، نقلت عن السلف»

سؤال: هل يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل؟

الجواب: لا يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل، لأن العقل قاصرٌ عن إدراك ذات الخالق سبحانه وتعالى، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

سؤال: إذا كان العقل لا يدرك ذاته تعالى فكيف الوصول إلى معرفته تعالى مع أن المعرفة واجبة على كل أحد؟

الجواب: إن معرفتهُ تعالى تحصلُ بمعرفة صفاتِهِ منَ الوجود والقِدَم والبقاء ومخالفتهِ للحوادث والقيام بنفسهِ والوحدانية والحياةِ والعلمِ والقدرةِ والارادة والسمع والبصر والكلام.

سؤال: بأي شيء عرفنا الله تعالى مع أننا ما رأيناه بأبصارنا.

الجواب: عرفنا وجودَ الله تعالى وباقيَ صفاته بظهورِ آثار قُدْرَتِهِ في هذه المخلوقات الحادثةِ المُتْقَنَةِ البديعة المحيرةِ للعقول: كالسموات وما اشتملت عليه من الشّمس والقمر والنجومِ والأرض وما اشتملت عليه من المعادن والأشجار وغير ذلك من أنواع الحيوانات التي منها الإنسانُ المخلوقُ في أحسن تقويم، لموصوفُ بأنواع الكمالِ والفضلِ، الممتاز بالعقل القويم. فكما أن من شاهد بناءً عرف أنَّ لهُ بانياً. ومَنْ شاهد كتاباً عرف أنَّ له كاتباً. وإن لم يره ولم يسمعْ خبره، فكذلكَ من رأى هذا العالَمَ المتقنَ البديعَ الباهرَ عرفَ أن له موجداً قديماً عليماً مريداً قديراً حكيماً.

سؤال: هل لهذه المسألة نظير في المخلوقات، أي هل يوجد في المخلوقات شيء نتحقق وجوده مع أننا لا نراه؟

الجواب: نعم وذلك كالرُّوح: فإنا نحكم بوجودها، وإن لم نحظ بشهودها. حيث نـرى مالَها من الآثار، مـع أننا لا نَـرَاهَا بـالأبصار ولا نُـدْرك حقيقتهـا بالأفكار وكذلك الله سبحانه وتعالى فإنهُ وإن لم نَرَه بأبصارنا ولم ندركْ حقيقـة ذاته بأفكارنا، نَجْزمُ بوجودِ ذاته الموصوفةِ بصفاتِ الكمـال نظراً لما نَرى من آثار صُنْعِهِ البديع سبحانه وتعالى الشاهدِ بلسان الحال والمقال.

سؤال: هل يجوز الخوضِ في حقيقة الروح والبحث عن ماهيتها؟

الجواب: لا يَجوز ذلك لأن العقل قاصرٌ عن إدراك حَقيقتهـا، فالبحثُ عنهـا إضاعةُ وقـتٍ، وهذا أكبر دليل على قصور عقل الإنسانِ، فإنه لم يُدركْ حقيقة روحـه مع كـوْنها مخلُوقة وغـير خارجـة عَنْهُ، ليقـطع الأمَلَ عن إدراك حقيقـة خَالِقِهِ الذي ليس له شَبيةٌ[1].

سؤال: هل تمكن رؤية الله سبحانه وتعالى بالبصر؟

الجواب: رؤيـةُ الله تعالى بـالبصر ممكنةٌ عَقْـلًا، وواقعـةٌ في الجنـة للمؤمنـين نقلًا. فإن الله تعالى موْجود وكلُّ موجود يمكنُ رؤيته قال الله تعـالى: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربِّهـا ناظـرةٌ**﴾[2] فيَرونَـهُ بالأبصَـار بغيرِ كيفٍ يـومَ القيامـة، ويُحجَبُ عنه الكافرون زيادة لهم في الحسرة والندامة.

سـؤال: هل اصابة العين حق؟

الجواب: نعم، وذلـك لِأنَّ بعضَ النفـوسِ من شـأنها وخـواصهـا أنها إذا

---

(١) دَليله قـول الله تعالى: ﴿وَيَسْـأَلُونَـكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُـلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتم مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٢، ٢٣.

نـظرت إلى شيء نـظر استحسـان وتعجُّب يصـابُ المنـظور إليـه ويلحقـه الضررُ[1]. لكن هذه النفوسَ قليلةٌ جداً فلا ينبغي للإنسان أن يشغل أفكـاره بذلك وينسبَ أكثر ما يصـابُ به إلى إصـابة العـين أو إلى السحر، كـما يفعله كثير من النساء لأنَّ ذلك طيشٌ وخفةٌ.

سؤال: كيف تؤثر العين مع كونها ألـطف أجزاء الإنسـان وعدم اتصـالها بالمنظور إليه وعدم خروج شيء منها يتصل به؟

الجواب: لا مانعَ أن يكون للشيء اللطيفِ تأثيرٌ قوي، ولا يشترط في التأثـير الاتصالُ. فإنـا نرى بعض النـاس مْن أصحاب الهيئـة والاقتدار إذا نـظرَ إلى أحد نَظَرَ مُغْضَب ربما يعتري المنظورَ إليهِ الـدهْشَة والارتبـاكُ، وقد يُفْضي بـه الأمرُ إلى الهلاك مع أنه لم يتسلط عليه في ظاهـرِ الحِسِّ، ولا حصلَ بـين المؤثر والمتأثِّر اتصال ومس، والمغناطيس يجذبُ الحديدَ مع عـدم اتصالـه به، وعـدم خروج شيء منهُ يُوجبُ صدورَ التأثر عنهُ بل الأمورُ اللطيفة، أعـظمُ آثاراً من الأمور الكثيفَة، فإن الأمورَ الجسيمـة إنما تصـدُرُ من الإرادة والنيَّة، وهمـا من الأمور المعنوية.

فلا يُسْتغرَبْ حينئذ أن تؤثر العين في المنظور إليـه مع لـطافتها. وعـدم اتصالها به، وعدم خروج شيء منها.

سؤال: من أفضل الأمم جميعاً بعد الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب: أفضـلُ الأمم جميعاً بعـد الأنبياء هي الأمـة المحمـديـةُ، وأفضلُهـا الصحابةُ الكـرام، وهـم الذين اجتمَعـوا بنبينا عليـه الصلاة والسـلامُ، وآمنُوا

---

(١) دليله قوله الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

به، واتبعوا النورَ الذي أنزلَ معه[1]، وأفضلُهم الخلفاء الأربعة[2].

سؤال: ما الإسراء وما المعراج؟

الجواب: الإسراءُ هو سير النبيِّ عليه الصلاة والسلامُ من مسجد مكة إلى المسجد الأقصى في القُدْس في ليلة. وهذا ثابتٌ بنصِّ القرآن الكريم[3]، والمعراجُ هو صُعُودُه تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السمٰوات، واجتماعه بالملأ الأعلى تشريفاً لهم به وإكراماً له، وقد ثبت ذلك بالأحاديثِ الصحيحة ، وهذا أمرٌ ممكنٌ أخبر به الصَّادقُ ، فيجب حَمْلُهُ على ظاهره، ولا يُسْتَغْرَبُ ممَّن سيَّرَ الطير في الهواء، وجعل الكواكبَ تَقْطَعُ بحركتها في دقيقة مسافةً لا يَقْطَعُها الناسُ في مائة عامٍ، أن يرفعَ إلى السماء في ساعةٍ حبيبه الذي اصطفاه على الأنام، فهو على كل شيء قدير، وبكل شيءٍ خبير.

سؤال: هل ينفع الدعاء الداعيَ أو المدعو له، وهل يصل ثواب صدقة الحي إلى الميت إذا هدى له ذلك؟

الجواب: إن الصَّدقة أمرٌ مرغوبٌ فيه والدعاءُ والتضرُّعُ إلى الله تعالى مطلوبٌ. وكلاهما نافعٌ عنده تعالى للحيِّ والميِّتِ.

---

(١) انظر قوله تعالىٰ: ﴿مُحمدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتغون فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوراةِ ومَثَلُهُمْ في الإنجيلِ كَزَرْعٍ أَخرجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: ٢٩].

(٢) أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(٣) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

سؤال: هل نعيمُ الجنة روحانيّ أم جسماني، وكذلك عذاب النار كيف هو، وهل هما دائمان أم ينقطعان؟

الجواب: إن الجنة تشتملُ على النعيمين: الروحاني والجسماني: فالروحانيُّ لتلذذ الرُّوح، كالتسبيح والعبادة ورؤية الله تعالى وإعلامه برضاهُ عنهم. والجسماني لتلذُّذ الجسم، كالأكل والشرب والنِّكاح.

والنارُ تشتمل على العذاب الجُسمانيِّ والعذاب الروحاني، والنعيم والعذابُ فيهما دائمٌ لا ينقطع أبداً وأهلوهما خالدون فيهما، وهما موجودتان الآن.

سؤال: هل يبلغ الولي درجة النبي، وهل يصل إلى حالة تسقط عنه التكاليف عندها؟

الجواب: لَا يبلُغُ الوَلي درجة نبيّ من الأنبياء أصلاً. ولا يصلُ العبد ما دام عاقلاً بالغاً إلى حيثُ يسقُطُ عنه الأمرُ والنهيُ ويُباح له ما شاء: ومن زعم ذلك كفرَ وكذلك يكفرُ من زعم أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرها هو المرادُ بالحقيقة، فأَوَّلَ النصوصَ القطعيَّة وحملها على غير ظواهرها. كمنْ زعم أن المراد بالملائكة القُوَى العقلية، وبالشياطين القوى الوهمية.

سؤال: ما المجتهد ومن المجتهدون الذين استقرَّ الرأي على أتباعهم؟

الجواب: المجتهد هو المحيط بمُعظم قواعد الشريعة ونصُوصها، الممارس لها بحيث اكتسب قوَّة يفهم بها مقصود الشارع، والمجتهدون كثيرون والمجتهدون الذين استقرَّ الرأي على اتباعهم والأخذ بقولهم أربعة، وهم أبو حنيفة النعمانُ بن ثابت، ومالكُ بنُ أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم. وإنما اختار العلماء تقليدَ هؤلاء الأربعة دون غيرهم ممَّن بلغَ درجةَ الاجتهاد لكثرة ما استنبطوه من المسائل بسبب تفرُّغهم لذلك، حتى ندرت القضايا التي لم يُبَيِّنُوا حكْمَها، ولِنَقْل مذاهبهمْ إلينا بطريق

التّواتُر: فينبغي تقليدُ واحدٍ معيَّنٍ منهم إلاَّ للضرورة. وإلاّ فربّما أدَّى إلى تلفيق[1]، يخرِجُ عن سواء الطريق.

سؤال: لمَ اختلف المجتهدون في بعض المسائل؟

الجواب: إنَّ المُجْتهدينَ لم يختلفوا في أُصول الدين ولا في أُمَّهات فروعه أصلاً، لثُبُوتها بالدلالة القطعية. وإنما اختلفوا في بعض المسائل الفرعية لعدم ثُبُوت نصٍّ قطعيٍّ فيها؛ إذ الجزئيات لا يتيسرُ حصرُها والاختلافُ فيها سهل فكلٌّ منهم بذل وسعه في استخراج حُكمها من الكتاب والسنة بحسَب ما ظهر له فمن أصابَ منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجرٌ لسعيه في إظهار الصواب بقدر وسعه. واختلاف الأئمة رحمةٌ للأمة لأنه اختلاف في أمور فرعية والاختلاف فيها يوجبُ اليُسْرَ على الناس، وعدمَ وُقوعهم في الحَرَج والبأس فإذا اضْطُرَّ الإنسانُ عَمِلَ بما هو الأيسرُ، وإلا فيعمل بما هو الأحْوَطُ أو الأحرى والأظهر.

سؤال: ما أشراط الساعة؟

الجواب: أشراط الساعة (العلاماتُ الدالةُ على قُرْبِ قيامها جداً) أمورٌ منها:

الدجّالُ[1]: وهو رجلٌ أعورُ يخرج في خَفْقَةٍ من الدين وإدبار من العلم ويَدَّعي الألوهية ويُظْهرُ بعضَ العجائب ويتبعه من كان ضعيفَ الإيمانِ واليقينِ.

---

(١) دليله قول رسول الله ﷺ: «إنَّ الدَّجالَ يَخرجُ، وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناسُ ماءً فنارٌ تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ باردٌ عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ» [رواه البخاري ومسلم] وزاد مسلم: «وإن الدجال ممسوحُ العين، عليها ظفرةٌ غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، و يقرؤه كل مؤمنٍ، كاتبٍ وغير كاتب».

ومنها ظهورُ دابةٍ من الأرض[1] تعَلِّمُ الناس في وجوههم، فمن كان مؤمناً جعَلتْ له علامةً يُعرَفُ بها أنه مؤمنٌ. ومن كان كافراً جَعَلتْ له علامة يُعرَفُ بها أنَّه كافرٌ. وتكلِّمُ الناسَ بأحوالهم. ومنها طلوعُ الشمس من المغرب[2] يوماً من الأيام وينسَدُّ حينئذ بابُ التوبة ولا تقبلُ من أحد.

ومنها خروجُ يأجوجَ ومأجوج[3] وهم جيلٌ من الناس أكثروا الفسادَ في الأرض في الزَّمن الغابر ولما وصل إلى ناحيتهم ذو القَرْنين شكا منهم جيرانهم إليه. فرثى لحالهم وكان الموصِّل بينهم مضيقٌ بين جبلينْ فَبنى فيه سدّاً عالياً جداً من حديد وأفرغ عليه الرصاصَ المذابَ فصار سدّاً مُحكماً أمْلسَ لا يتيسَّر نقْبهُ ولا الصُّعودُ عليه فإذا حان أوان خروجهم انفتح السَّد[4] بسبَب من الأسباب فينتشرون في الأرض، ويكثر فسادهم في طولها والعَرْض، فيُلجَأ إلى مولاهم في رَفْع شرِّهم وضررهم فيهلكهم ويقضي بمحْو أثرهم.

ومنها نزول عيسى عليه السلامُ[5] وذلك حينما تكثر في المسلمين الفتن وتَتوالى عليهم المحنُ فيتولى أمورَ هذه الأمة، ويكشف عنهم كلَّ ملمَّة. ويقتُل الدجّال، ويخلِّصُ الناس من الأهواء والأهوال[6].

---

(١) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

(٢) دليله قول رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]».

(٣) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

(٤) انظر سورة الكهف الآيات: [٨٣ ـ ٩٨].

(٥) دليله قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٥٩].

(٦) وقد فات المؤلف رحمه الله تعالى خمس أماراتٍ من علامات الساعة الكبرى وهي:

١ ـ الدخان.

وافق الفراغ من ضبطه وتحقيقه وشرحه والتقديم لـه أذان المغرب من يـوم الأحد الـواقع في ١٧من صفر ١٤٠٥ هجري الموافق للحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٨٤ للميلاد.

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

= (٢) خسف بالمشرق.

(٣) خسف بجزيرة العرب.

(٤) خسف بالمغرب.

(٥) نارٌ تخرج من اليمن.

ولعله اكتفىٰ بالثابت بالخبر المتواتر الذي يورث القطع واليقين، والباقي إنمـا نقل إلينـا عن طريق الآحاد، بطريق صحيحة متفق على صحتها، أضف إلى ذلك أمارات صغرى لا مجال لذكرها في هذه الصفحات، ولا يخفى أننا أهلُ السنة والجماعة نؤمن بظهور المهدي ـ عليه السلام وأنه من ولد فاطمة رضي اللّه عنها، وسيصلي بـالمسيح عليـه السلام إمـاماً في بيت المقدس، واسمه واسم أبيه يواطىء اسم محمدٍ ﷺ واسمَ أبيه.

كما فات المؤلف أن يتحدث عن الجن ولو بإشارة بسيطة فدليل وجودهم آيات كثيـرة منها قـول اللّه تعالى: ﴿**ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.[الأحقاف: ٢٩] وقوله تعـالى: ﴿**خلق الإنسان من صلصـال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار**﴾ [الرحمن: ١٤].

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً والحمد للّه رب العالمين.

الفهرس